جامعة زيان عاشور– الجلفة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ والآثار

مطبوعة خاصة بمقياس :

مصادر تاريخ المغرب الإسلامي

دروس موجهة إلى طلبة أولى ماستر آثار إسلامية (المستوى والتخصص)

السداسي: الأول الرصيد: 01 المعامل: 01 التقييم: مراقبة مستمرة ، أمتحان

إعداد الأستاذ : حسونة عبد العزيز

السنة الجامعة : 2021/ 2022

المحاضرة (01) : مفهوم المصدر التّاريخي وتعدّد أشكاله.

يتوجب على الباحث في التاريخ، أن يعرف كيف ينتهي في عمله بكتابة بحث علمي مؤيد بأسانيد تاريخية ، ويلزم ذلك أن يعرف كيف يستكشف طبيعة هذه الأسانيد وكيفية الإستفادة منها المادة الخبرية ويستفيد منها[1] و التي عادة ما تتنوع أشكالها و تتعدد اهتماماتها.

كان جل اهتمام الباحثين منصبا على البقايا الأثرية من صناعات حجرية أو عظمية أو بعض بقايا الطين والفخار باعتبارها مصادر توفر معلومات مهمة عن الفترات القديمة [2].

و منذ أن عرف الإنسان الكتابة في نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد في أقدم حضارتين ببلاد الرافدين وبلاد النيل ظهرت أولى الوثائق المدونة في تاريخ البشرية، حيث دون اهل تلك البلاد كل ما تعلق بمظاهر حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على وثائق من ورق النبات والحجارة والفخار و غيرها لتمثل لنا أقدم مصادر في التأريخ **ما هو المصدر التاريخي وما هي أشكاله؟**

تعريف المصدر : عندما نقول مصدر أو مصادر فإننا نقصد معايشة الحدث وفق شروط محددة إذ يمكن اعتبار المادة الخبرية المحصل عليها مصدرا في قسم من كتاب، ومرجعا في قسم آخر وذلك راجع الى ما مدى البُعد عن الحدث المؤرخ له، وعليه يمكن أن نعرف مفهوم المصدر بـ:

– لغة: أصل الكلمة التي تصدر عنها مصادر الأفعال وتعني أخذ الخبر التاريخي من مصدره.

– اصطلاحا: هو كل أثر أو شاهد يُخلّفه الانسان سواءا من كتابات أو نقوش أو بنايات أو مصنوعات تدل على حدث معين مهما كان نوعه وزمنه ، أو مخلفات في شكل جرائد مذكرات و شهادات.

والمصادر عدة أنواع منها:

1- المصادر المادية: نقصد بها البقايا الأثرية التي تعود الى فترة الدراسة، حيث تساعد على معرفة التاريخ العمراني وتاريخ المدن والتوزيع السكاني، كما تعتبر شاهدا حيا على تعاقب الانسان و وجوده، والأمثلة كثيرة في تاريخ الجزائر عبر العصور انطلاقا من الرسومات الصخرية في حضيرة الطاسيلي الى المدن والقلاع والحصون من فترة التاريخ القديم إلى العهد الإسلامي والفترة العثمانية أو الأسلحة و المسكوكات والمصنوعات المحفوظة في المتاحف الوطنية والدولية، فمثلا دراسة النقود تمكننا من معرفة التقنية المستعملة في صكها وفترتها الزمنية ومدى التقدم في تلك المرحلة، وطبيعة الحكم الذي كان سائدا، ونفس الشيء

[1] علي ابراهيم حسن،استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية،ط.3، 1980، ص.37.
[2] محمد ماهر حمادة، دراسة وثقية للتاريخ الإسلاميومصادره، مؤسسة الرسالة بيروت، ط.1، 1988، ص.8.

بالنسبة للمعالم الأثرية فهي تفيدنا كثيرا في تصور تاريخي عن كل معلم من خلال استنطاق المادة الخبرية التي يَحويها أو ما تناقلته الروايات الشفهية من جيل الى آخر.

2- المصادر المكتوبة ويمكن تصنيفها إلى:

- مصادر أولية أو أساسية وهي التي كتبت أو أنشأت حين وقوع الحدث التاريخي فصاحبها يكون عايش الحدث زمانيا ومكانيا .

- مصادر ثانوية وهي تتعلق بحدث تاريخي تم إنشاؤه باستخدام المصادر الأساسية أي نقلا عنها.

من أشكال المصادر المكتوبة:

1. الوثائق

الوثائق بمثابة الأداة والمحرك بالنسبة للتدوين التاريخى ، فهي محور التاريخ والمصدر الأول لكتابته ، وبغيابها يصعب على المؤرخ كتابة التاريخ الصحيح لأنه لا يستطيع التعرف على الماضي مباشرة إلا من خلال الآثار التي خلفها وراءه .

ونظرا لهذه القيمة التي تتمتع بها هذه الوثائق لابد أن نعرف ماذا نقصد بكلمة وثيقة لغويا.

- لغة الوثيقة : الإحكام في الأمر مُذَكَّر وثيق ،أي الشيء المحْكم لقد جاء تعريفها في اللغة على أنها المحْكَم أو ما يُحَكَّم به الأمر ، ويقال أخذ بالوثيقة في أمره أي أخذ بالثقة.[3]

- اصطلاحا الوثيقة يعرفها البعض حيث تُعرف الوثيقة على أنّها: "كل ما هو مكتوب أو مرسوم أو مطبوع، والذي يصدر أو يستلم من أي دائرة أو مؤسسة رسمية، والذي تقرر الاحتفاظ به لأهميته وفائدته لتلك الدائرة" ، أيضًا تُعرف بأنّها: "صكّ يحتوي على معلومات تُصدرها هيئة رسمية معترف بها، ومعترف لها بالحق في إصدار تلك الأشياء، ويحمل من السمات العائدة إلى تلك الهيئة ما يمكن الاطمئنان إلى صحة صدورها عن تلك الهيئة لقطع دابر التزوير"[4].

وتتمثل أهمية الوثيقة بأنها كل ما خلفه الحدث التاريخي من آثار بمعنى أن لكل مكتوب قيمة تاريخية حتى لو لم يكن لمحررها صفة رسمية.وتوسع آخرون في تعريفها فأكدوا على أنها كل آثار السلف حتى ولو كانت من ابن لأبيه أو من صديق لصديقه، أو بيان حساب لأحد التجار أو إيصال دين، أو قائمة أسعار فكل ذلك قد يكون ذو أهمية في دراسة التاريخ

[3] إبن منظور، لسان العرب ، دار المعارف القاهرة ، ص.4764.
[4] محمد ماهر حمادة، راسة وثقية للتاريخ الإسلامي ومصادره من عهد بني أمية حتى الفتح العثماني لسوريا ومصر 40 – 922ه / 661 – 1516م، مؤسسة الرسالة لبنان ، ط.1، 1988/1408،ص.7.

الاقتصادي و الاجتماعي والثقافي...

ومن وجهة نظر الباحث، أن الكثير من الوثائق الرسمية لا تفي بالغرض المطلوب في تفسير الحدث مما يحتم على الباحث الرجوع إلى كل ما تركه الحدث التاريخي من أثر، ومن هنا يتفق الباحث مع الرأيين الأخيرين، ويرى أن كل ما خلفه الحدث التاريخي يدخل في عداد الوثائق.[5]

2. المخطوطات

هي المؤلفات، والدراسات، والنصوص التي كتبها أصحابها في فترة تاريخية سابقة على ظهور الطباعة، ومن هنا استمد اسمها على أنها خُطَّت باليد. وتوجد في أشكال كثيرة، تكون عادة محفوظة في دور الوثائق والأرشيف الرسمية والمكتبات وخزائن دور العبادة من كنائس أو زوايا أو الخزائن الخاصة كما قد تحفظ في المتاحف. وتكمن أهميتها في تسجيلها للموضوعات، والأحداث، والتواريخ حين وقوعها ، ونجد أن كثيرا منها قد خُطَّت بلغات بائدة أو خطوط قديمة لم تعد مستخدمة في عصرنا هذا وكثيرا منها تغلب عليها صفة الأدب والتصوف ، وتتضمن معلومات تاريخية غير موجودة في مصادر أخرى.

عرفت الكثير من المخطوطات سبيلها للتحقيق والنشر وعمت فائدتها الباحثين وطلاب العلم كما توجد أعداد كبيرة غير مقدرة من المخطوطات غير المحَقَّقة ، وهي بانتظار الباحثين كي يزيلوا عنها الستار لكي تخرج محققة لتساهم في نشر المعرفة التاريخية.

3. المذكرات:

هي الكتابات الخاصة التي يدونها الساسة والزعماء وكبار الكتاب الذين صنعوا الحدث التاريخي، أو ساهموا في قضية تاريخية، أو كانوا قريبين منها كشهود عيان عليها، وهذه المذكرات مفيدة جدا كمصدر تاريخي في تحليل، ودراسة أبعاد شخصية كاتبها.

تعتبر المذكرات الشخصية في غاية الأهمية لتاريخ الدول فهي تمثل تراث هام يحتاج إلى النشر ووضعه بين أيدي الباحثين حتى تكتمل حلقات التاريخ ومصادره.

[5] السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية، بيروت 1961، ص.133

المحاضرة (02) : مناهج وأساليب المدرسة الإسلامية في الكتابات التّاريخية

ظهرت بوادر اهتمام العرب بعلم التاريخ منذ عصر ما قبل الإسلام، ونتج عن ذلك ظهور شكلين من أشكال المعرفة التاريخية وهما:

– **الأنساب** : وهي نوع من التاريخ يقوم على تتبع نسب القبائل العربية، وقد بالغ العرب في حفظ شجرة نسب القبيلة وتلقينها لأبنائهم جيلا بعد جيل حتى لا يختلط نسبها بأنساب القبائل الأخرى.

– **أيام العرب** وأسواقها وتجمعاتها الموسمية و الحروب التي خاضتها ، وهي بمثابة سجل مفاخر القبيلة و بطولاتها، والغرض منها تعزيز الشعور بالهوية لدى أبناء القبيلة..

بظهور الإسلام اتخذ الاهتمام بالتاريخ منحى جديدا فلم تعد القبيلة صلب العملية التاريخية ومحورها وإنما الدين، وفي كنف الدين نما علم التاريخ وتطور فكان أول اشتغال للمسلمين به مع حاجتهم إلى معرفة سيرة نبيهم صلى الله عليه وسلم وتوفر لهذا الغرض رجال عكفوا على جمع أخبار السيرة وتدوينها.

منهج الكتابة التاريخية: نتج عن حركة الفتوح الكبرى تواصل العرب المسلمين مع الأمم الأخرى، و اقتضت تلك الأحداث جمع وتدوين الأخبار المتصلة بها، فتدوين أخبار القدماء دفعت إليه رغبة العلماء فهم الإشارات الواردة في القرآن والسنة.

يظهر نضج علم التاريخ عند العرب المسلمين، في وفرة مادته، وفي تنوع فنونه، وطرائق تركيب المعلومات فيه، وبمنهجيته النقدية للوصول إلى الحقيقة، وتطوَّرت الكتابة التَّاريخيَّة لتتَّخذ أبعادًا أُخرى، وبمنهجيَّة تقوم على طريقتين عمودية وأفقيَّة:[6]

– الطريقة العمودية: ويقصد بها أنَّ المؤرخ يبتدئ التاريخ منذ نشأة الخليقة، أومنذ الميلاد، أو عند ظهور الإسلام، حتى ينتهي بعصره، وهي طريقة لها بداية وتنتهي بعصر المؤرّخ، أو يتوقَّف عند فترة سابقة لعصره، على أنَّ المهمَّ فيها أنَّها طريقة تصاعدية في تناول حوادث التاريخ، مثل المؤرّخ المغربي الناصري في سلسلة كتبه التاريخيَّة" الإستقصا"، التي تناول فيها حقبة تاريخيَّة تمتدُّ من مولد الرَّسول ﴿ صلَّى الله عليْه وسلَّم ﴾ حتى تاريخ الدولة العلوية بالمغرب، وكذلك كتاب" مروج الذهب ومعادن الجوهر" للمسعودي ، و كتاب" الأخبار الطوال" للدينوري ، وتاريخ الطبري و"الكامل في التاريخ" لابن الأثير.

– الطريقة الأفقيَّة، فهي التي تقوم دراستها بشكْلٍ يتوزَّع على المكان أكثر من توزُّعه على الزمان، بعبارة أُخْرى، هي تدرس شرائح منتخبة من الناس، موزَّعة على المجتمع العربي الإسلامي في امتداداته العرضية في ديار الإسلام، خاصَّة في دراسات بعض الجغرافيين العرب؛ مثل ابن حوقل في كتابه" صورة الأرض"، وابن بطُّوطة " تحفة النظار "

[6] مولاي المصطفى البرجاوي، تطور الكتابة التاريخية بين منظورين الثقافة الإسلامية في مقابل الثقافة الغربية، شبكة الألوكة تاريخ الإضافة - 1434/2/17 هجري/ 2012/12/31 ميلادي

تطور أساليب الكتابة التاريخية: توطد علم التاريخ العربي الإسلامي وتأسس منهج الكتابة التاريخية من حيث الاعتماد على التسلسل الزمني وظهرت المؤلفات المتخصصة و ظهرت ايضا الموسوعات التاريخية الكبيرة وشهد ظهور حركة الترجمة والتطور الحضاري في العصر العباسي الأول وامتلك المؤرخون خبرات اضافية جعلتهم أكثر عمقا في النظرة التاريخية لمختلف الحضارات وهذه المرحلة هي المرحلة التي استقر فيها علم التاريخ مع نشأة التدوين التاريخي المنظم.

واستنادا إلى تلك المنهجية التي استبطنها المؤرخ المسلم تنوعت أنماط الكتابة التاريخية وتعددت صورها كالتالي[7]:

1- **كتب السيرة**، تعتبر السيرة النبويَّة نموذج مُلهمٌ في الكتابة التَّاريخيَّة، فهو مثال وقدْوة المسلمين العُليا في الحياة، وأقوالُه وأفعالُه تعدُّ الرُّكن الثَّاني في التَّشْريع الإسلامي الذي كان قانونَ الدَّولة؛ لذا بدأ الاهتِمام مبكِّرًا بِجمْع كلِّ ما يتعلَّق بِحياته فيما سمِّي بعد ذلك بـ (السيرة)

وأشهر من كتب في هذا الموضوع محمد بن إسحاق، ولخص له ونقح مروياته عبد الملك بن هشام. وفي الواقع ندر أن يمر قرن من دون إعادة تدوين السيرة في أنحاء كثيرة من العالم الإسلامي.

2- **المغازي و الفتوح**، وهي نمط من أنماط الكتابة ظهر مع حركة الفتوح الإسلامية بغرض التعرف على صيرورة الفتح، وفي كل مصر من الأمصار كان هناك عدد من الإخباريين المختصين في جمع أخبارها وتدوينها كما يذكر ابن النديم في الفهرست، ومن أقدم كتب المغازي كتاب "المغازي النبوية" لابن شهاب الزهري (ت 124هـ) وأبرز من صنف في ذلك محمد بن عمر الواقدي (ت: 207هـ) كتب عن فتوح الشام وفتح إفريقية وغيرهما، وابن عبد الحكم (ت:257هـ) صاحب (فتوح مصر والمغرب) والبلاذري (ت: 279هـ) صاحب (فتوح البلدان).

3- **الطبقات والتراجم**، وهي تصنيف ابتكره المؤرخون المسلمون على غير نسق سابق لدى الأمم الأخرى في القرن الثاني للهجرة ، وقد ارتبطت في نشأتها بعلم الحديث، فقد عني المسلمون بكتابة تراجم للمُحدّثين قصد التحقق من صدق الرواة وفقا لمنهج الجرح و التعديل، و شملت الصحابة والمفسرين والنحويين والشعراء والأطباء ، ثم كثرت أنواعها وتطور شكلها ومنهجها فأصبحت مرتبة على حروف المعجم، وأدرجت ضمن كتب التاريخ العام على شكل ملحقات في أواخر الأحداث و السنوات، ومن أشهر من صنف فيه ابن سعد (ت:230هـ) صاحب الطبقات الكبرى، وابن خلكان (ت:681 هـ) صاحب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ومحمد بن شاكر الكتبي (ت: 764هـ) صاحب فوات الوفيات.

4- **الحوليات**، وفيها يعمد المؤرخ إلى سرد الحوادث المتعددة في العام حسب ترتيب وقوعها وهو يفتتح كل حدث بعبارة (وفي السنة نفسها)، وعلى الرغم من كونها تاريخا لا موضوعيا حيث أن الحادثة الواحدة قد تمتد إلى بضع سنين إلا أن الحوليات أتاحت للمؤرخ التخلص من الطابع الفردي للتاريخ الذي يدور في فلك القائد، وأقدم مؤلف وصلنا بهذه الطريقة

[7] فاروق عمر فوزي، التدوين التاريخي عند المسلمين، دار البارودي للطباعة أبوظبي 2004، ص.76.

هو(تاريخ الطبري) في مطالع ق.3 م ، ونظرا لضخامة الكتاب فقد افترض بعض المؤرخين المعاصرين أن الطبري لم يكن أول من طبق الصورة الحولية على الكتابة التاريخية، وأن آخرين سبقوه في هذا المجال.

5- **تواريخ البلدان و المدن** ، لون من التصنيف يجمع ما بين الجغرافيا والتاريخ حيث يبحث في تاريخ مدينة أو إقليم، من أول نشأته حتى زمن مؤرخه يتناول المظاهر العمرانية في مدينة ما ويستعرض تاريخها، وتحوي كتب الخطط قدرا من المعلومات التفصيلية عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية مما لا نجد له نظيرا في كتب التاريخ الأخرى، وأهم من صنف فيها المقريزي (845هـ) في كتابه الخطط المقريزية، وابن عساكر (ت:574هـ) صاحب تاريخ مدينة دمشق، وابن الضياء (ت:854هـ) صاحب تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام. "معجم البلدان"، لياقوت الحموي(ت: 626 هـ)، و"المسالك والممالك"، لعبد الله أبي عبيدة البكري المغربي (ت 487هـ/1094م)

6- **كتب التاريخ العام**: وتبحث في تاريخ البشر بصفة عامة، ومنذ بدء الخليقة حتى عصر المؤرخ، وتركّز بصفة خاصة على التاريخ الإسلامي، وأغلبها ينقل عمّا قبله، إلا أنها في تدوينها للمرحلة المعاصرة للمؤلف فإنها أصيلة، وتعتبر مصدراً أولاً أساسياً.[8]

[8] محمد عبد الكريم الوافي ، منهج البحث في التاريخ والتدوين التاريخي عند العرب، منشورات جامعة قار يونس بنغازي ط.3، 2008،ص.294

المحاضرة (03) : مصادر الفتح الإسلامي من البدء حتّى نهاية عصر الولاّة

الفتح الإسلامي لبلاد المغرب

استغرق فتح بلاد المغرب أكثر من خمسين سنة بداية من عهد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان إلى غاية الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك

مرت عملية فتح بلاد المغرب بمرحلتين هما :[9]

1. مرحلة الاستطلاع والاكتشاف (27هـ إلى 50هـ): حملات استطلاعية متكررة كان يقوم بها المسلمون لمعرفة المنطقة وسكانها، ثم يعودون إلى مصر كحملةعبد الله بن أبي سرح.

2. مرحلة الفتح المنظم(50هـ إلى 86هـ) بدأها عقبة بن نافع بتأسيسه مدينة القيروان سنة 50هـ وتنتهي بعزل حسان بن النعمان سنة 86هـ و تولية موسى بن نصير أمور بلاد المغرب إلى غاية فتح الأندلس

عصر *الولاة* في *بلاد المغرب* والأندلس

– دخلت بلاد المغرب عصر الولاة بنهاية ولاية موسى بن نصير الذي انتهت فيه فترة الفتح بالمغرب، ويطلق المؤرخون مصطلح "عصر الولاة" عادة على الفترة الممتدة من نهاية الفتح الإسلامي إلى ثورة البربر سنة 122[10]. وقد أصبح المغرب خلال عصر الولاة ولاية في التقسيم الإداري الأموي مستقلة عن ولاية مصر، وكانت قاعدته هي القيروان بإفريقية.

لكن المرحلة لم تسلم من ضغط جبائي ومن تجاوزات كان الولاة الأمويون يرتكبوها وعان منها السكان كثيرا. وشهد العصر أيضا صراعا مريرا بين العرب من القيسية واليمنية واتسمت بتصفية كل وال لإرث من سبقه وتتبع أنصاره وإلحاق الأذى بكم.

– يمتد عصر *الولاة* في الأندلس من 97 هـ/ 716م، سنة مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير، إلى 138 هـ/ 755 م، سنة مجيء عبد الرحمن الداخل، وهي مرحلة استغرقت حوالي أربعين عاماً تولى فيها حكم الأندلس عشرون والياً، من بينهم عبد الرحمن الغافقي وعبد الملك بن قطن اللذين توليا السلطة مرتين. وكان بعض الولاة لا تستغرق ولايتهم أكثر من شهور معدودة، وذلك إما بقتلهم أو الثورة عليهم وعزلهم.

وكانت الأندلس في هذه الفترة تتلقى التعليمات فيما يتعلق بتعيين الولاة إما من مركز الخلافة في دمشق وإما من الوالي العام لبلاد المغرب الموجود بالقيروان.

أهم مصادر الفتح الإسلامي وعصر الولاة :

---

[9] السيد عبد العزيز سالم ،تاريخ المغرب في العصر الإسلامي،مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 1999، ص.55.
[10] سوادي عبد محمد /صالح عمار الحاج، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، ط.1، 2004، ص.53.

1. **كتاب فتوح مصر والمغرب و الأندلس لأبن عبد الحكم** (ت.257هـ)[11]

المؤلف: **عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم**، مؤرخ من أهل العلم بالحديث، مصري المولد والوفاة(187-257هـ) وكان والده يشغل إذ ذاك منصب صاحب المسائل، وهي وظيفة لا ينالها إلا العلماء الأُمناء، وأسرة ابن عبد الحكم إحدى الأسر العربية التي جاءت إلى مصر في القرن الأول الهجري ، ونزلت في بلدة الحقل بالقرب من العقبة ، وفي القرن الثاني الهجري انتقل أفراد الأسرة إلى الفسطاط التي أصبحت بعد الفتح الإسلامي عاصمة لمصر.

الكتاب: **فتوح مصر والمغرب** يعتبر أهم ما قدمه ابن عبد الحكم لمدرسة مصر. فقد استطاع أن يجمع أطراف الرواية التاريخية وغيرها ويسجلها جميعا فى مجموعة من الأخبار المنسقة.

ويختلف عنوان هذا الكتاب عند الكُتَّاب القدماء اختلافا يكشف عما يحوى من موضوعات. فقد أوجز بعضهم فسماه «فتوح مصر» وأطال بعضهم فجعله «فتوح مصر وأخبارها» وأسهب فريق ثالث فقال : «فتوح مصر والمغرب والأندلس» [12].

قسم ابن عبد الحكم كتابه إلى سبعة أجزاء : الأول فى فضائل مصر وتاريخها قبل الإسلام. والثانى يتناول الفتح الإسلامى. والثالث يشرح الخطط ونزول العرب فى مصر. والرابع الإدارة المصرية على عهد عمرو بن العاص. والخامس فتح إفريقيا والأندلس.

2. **كتاب فتوح البلدان للبلاذري(ت.278هـ)**[13]

المؤلف **أحمد بن يحي بن جابر بن داود البلاذري** مؤرخ و رحّالة ، أحمد بن يحي بن جابر بن داود البَلَاذُري ،مؤرخ وجغرافي نسابه من أهل بغداد (190-278هـ) وقيل أصيب في آخر عمره بذهول شبيه بالجنون فشد بالبيمارستان إلى أن توفي..

الكتاب **فتوح البلدان** أو « **كتاب البلدان الصغير**» ويظهر أنه مختصر عن كتاب أطول منه ، سماه « كتاب البلدان الكبير» ولم يكمله. يتحدث الكتاب عن أخبار الفتوح الإسلامية بلدا بلدا من أيام النبي" صلى‌الله‌عليه وسلم". كما يضم فضلا عن الفتوح أبحاثا عمرانية وسياسية لم يتطرق إليها أي من كتب التاريخ : كأحكام الخراج ، والعطاء ، وأمر الخاتم ، والنقود ، وغيرها ... وقد قال فيه المستشرق « دي غويه » : " اشتغل البلاذري منذ نعومة أظفاره بتأليف كتاب جامع لتاريخ الدول الإسلامية ، أتى فيه على الحقائق التاريخية دون أن يغضب خليفة وقته ويعتبر هذا الكتاب من أجمع كتب الفتوح وأصحها ... " .

[11] السيد عبد العزيز سالم ،تاريخ المغرب في العصر الإسلامي،مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 1999،ص.6.
[12] حسين نصار، فتوح مصر والمغرب، مجلة المجلة عدد (80) أغسطس سنة 1963. ص 97.
[13] السيد عبد العزيز سالم ،تاريخ المغرب في العصر الإسلامي،مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 1999،ص10

3. **كتاب رياض النفوس للمالكي(ت.474هـ)**

المؤلف: **أبي بكر عبد الله بن أبي عبد الله محمد** المالكي يعتبر هو وأبيه من كبار رواة العلم والتاريخ بإفريقيه وكان أبي بكر هذا ممن بقي من العلماء بعد خراب القيروان على يد الأعراب الهلاليين سنة 449 هـ ، وهو من شيوخ الإمام المازري توفي سنة 474 هـ[14]

الكتاب « **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسِيرٍ من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم** »، يعتبر من الكتب التي اهتمت بعلماء بلدٍ بعينه أو منطقة بعينها، ألا وهي مدينة القيروان.

يقول المالكي في خطبته: سأله بعض الناس على التأليف في علماء إفريقيا والمتفقهين والأولياء والعباد المجتهدين ومن كان بمراسي إفريقيا وسواحلها ومراسيها وحصونها منهم، فاستخرتُ الله ربي واستهديته واستعنته وذكرتُ ما بلغني من أخبار نساكهم وعبّادهم وفضائلهم وأوصافهم وتاريخ وفاتهم، بحسب ما انتهى إليه علمي وبلغته معرفتي وطاقتي، وتم تأليفه بعد دخول النورمان إلى جزيرة صقلية سنة 464هـ/1074م .[15]

أهم ما احتواه كتاب « رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية»، فبدأ بما جاء في فضل إفريقية والمَنستير وذكر فضل القيروان، والولاة الذين تعاقبوا عليها، ثم ذكر من دخل إفريقية من أصحاب النبي. صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر من دخل إفريقية وأوطانها من التابعين وهم الطبقة الأولى من علماء مدينة القيروان، ثم ذكر باقي الطبقات إلى غاية الطبقة الخامسة، ويلاحظ أنه لا يرتب هؤلاء ترتيبًا على حروف الهجاء، وإنما يبدو أنه أتى بهم هكذا، من غير ترتيب معروف.

4. **الكامل في التاريخ لأبن الأثير(ت.630هـ)**

المؤلف: **أبن الأثير هو عز الدين علي بن محمد الجزري الشيباني**، المعروف بابن الأثير أبي الكرم(555- 630 هـ / 1160-1232م)، مؤرخ وعالم بالحديث وأنساب العرب ،أخذ تحصيله العلمي على شيوخ الموصل والشام. اهتم عز الدين بعلوم عدة، منها الأصول والفرائض والمنطق والهيئة والقراءات والحساب ولكنه أتقن علم الحديث وعلم التاريخ. فكان إماماً في حفظ الحديث ومعرفته، وحافظاً للتواريخ المتقدمة والمتأخرة، وخبيراً بأنساب العرب وأيامهم وأخبارهم. [16]

توافرت لابن الأثير المادة التاريخية التي استعان بها في مصنفاته، بفضل صلته الوثيقة بحكام الموصل، وأسفاره العديدة في طلب العلم، وقيامه ببعض المهام السياسية الرسمية من قبل صاحب الموصل، ومصاحبته صلاح الدين في غزواته –وهو ما يسر له وصف المعارك كما شاهدها– ومدارسته الكتب وإفادته منها، ودأبه على القراءة والتحصيل[17]. كتب عز الدين في الموضوعات التاريخية

[14] المالكي أبي بكر عبد الله، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، تح.بشير بكوش، ج.1،دار الغرب الإسلامي ط.2، 1994، ص.22م
[15] المالكي ، نفس المصدر، ص.23م
[16] أبن الأثير عز الدين علي، الكامل في التاريخ، تح أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية الأردن، د.ت.ط. ص.9
[17] أرشيف إسلام أون لاين

المختلفة، كالتاريخ العام، وتاريخ الأسر الحاكمة، والتراجم والأنساب، ووضح في كتبه فوائد التاريخ والعبر التي يجنيها قراؤه من معرفة حوادث الأمم السالفة وأخبارها،

الكتاب: **الكامل في التاريخ كتاب** في التاريخ العام، ويعد قمة في الكتابة التاريخية، وهو تاريخ عام في 12 مجلدًا، منذ الخليقة وابتداء أول الزمان حتى عصره، حيث انتهى عند آخر سنة (628هـ) أي إنه يعالج تاريخ العالم القديم حتى ظهور الإسلام، وتاريخ العالم الإسلامي منذ ظهور الإسلام حتى عصره، اعتمد في كتابه على كبار المؤرخين الذين سبقوه، وعلى رأسهم الطبري والبلاذري والمسعودي وكثيرون غيرهم. والتزم في كتابه بالمنهج الحولي في تسجيل الأحداث، ورتب فيه الأخبار على السنين، وأقام توازنًا بين أخبار المشرق والمغرب وما بينهما على مدى سبعة قرون وربع قرن، وهو ما أعطى كتابه طابع التاريخ العام أكثر أي تاريخ عام لغيره، وفي الوقت نفسه لم يهمل الحوادث المحلية في كل إقليم، وأخبار الظواهر الجوية والأرضية من غلاء ورخص، وقحط وأوبئة وزلازل..

لم يكن ابن الأثير في كتابه ناقل أخبار أو مسجل أحداث فحسب، وإنما كان محللا ممتازا وناقدا بصيرا؛ حيث حرص على تعليل بعض الظواهر التاريخية ونقد أصحاب مصادره، وناقش كثيرا من أخبارهم.. وتجد لديه النقد السياسي والحربي والأخلاقي والعملي يأتي عفوا بين ثنايا الكتاب، وهو ما جعل شخصيته التاريخية واضحة تماما في كتابه على الدوام..

احتوى كتاب الكامل في التاريخ لعز الدين ابن الأثير على مادة غزيرة وثرية عن تاريخ المغرب والأندلس، من بداية الفتح الإسلامي لهذه البقاع إلى أواخر العهد الموحدي، مما أهله لأن يكون من أهم وأوسع المصادر المشرقية التي عالجت تاريخ الغرب الإسلامي، وقد كان لابن الأثير رؤية ثاقبة ومنهاج واضح سار عليهما في كتابه الكامل، من براعة في الترتيب والتبويب والتنسيق، والتوزيع على الأحداث والحوليات، وانتقاء أدق الروايات وتمحيصها ونقدها، واعتماد لأسلوب سلس وبسيط بعيد عن الصنعة والزخرفة والسجع المتكلف، كما امتازت مصادر ابن الأثير في هذا الباب بالغزارة والتنوع، وكان من منهج ابن الأثير اعتماده في التأريخ لكل إقليم على مؤلفين ينتمون إلى ذلك الإقليم، من باب أن كل أهل بلد أعرف وأخبر بأحداث بلادهم، ولم يشذ المغرب والأندس عن هذه القاعدة، حيث توفرت لدى ابن الأثير مصادر مغربية وأندلسية لم تتوفر لغيره من المؤرخين المشارقة، مما أعطى للمادة التاريخية المغربية في كتاب الكامل مصداقية أكثر وأقرب إلى الحقيقة التاريخية، وقد استطاع ابن الأثير أن يطلع على مصادر مكتوبة من كتب ووثائق، وروايات مسموعة من أفواه العلماء والثقات من الرحالة والتجار والسفراء والرسل، وفي هذا الإطار حاولت من خلال هذه الدراسة، تسليط الضوء على منهج ابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ"، ومصادره التي اعتمدها في كتابته لتاريخ الغرب الإسلامي[18].

5. تاريخ افريقية والمغرب للرقيق القيرواني(ت. 420هـ/1029م)[19]

[18] بن يحي مصطفى / بوشنافي محمد، الغرب الإسلامي عند ابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ" دراسة في المصادر والمنهج ، مجلة عصور الجديدة، المجلد 10،العدد4 ديسمبر 2020م .ص.ص 77-97

[19] أرابيكا الموسوعة الحرة

المؤلف: هو **ابراهيم بن القاسم الكاتب** المعروف بالقيروانيّ نسبة إلى مدينة القيروان ، و الرقيق لقب له من الرقة . و قد تولّى ديوان الرسائل في الدولة الصنهاجية في القيروان (بعد انتقال الدولة الفاطمية إلى مصر) وكان كاتب الحضرة منذ نيف وعشرين سنة [20] في عهد نصير الدولة باديس بن المنصور (386-406 ه) ثم المعز بن باديس(406-453ه).

يوصف بأنه شاعر سهل الكلام محكمه، لطيف الطبع قويه، غلب عليه الكتابة وعلم التاريخ وتأليف الاخبار وهو بذلك احذق الناس[21]. وقال ابن خلدون (في المقدمة): ابن الرقيق، مؤرخ افريقية و الدول التي كانت بالقيروان[22]. ونعته ياقوت (في معجم الادباء) بالكاتب وأورد أسماء كتبه، ومنها، (تاريخ افريقية والمغرب) عدة مجلدات، و (كتاب النساء) و (نظم السلوك في مسامرة الملوك) وكتاب(الإختصار البارع للتاريخ الجامع،عشر مجلدات)[23] وله (قطب السرور في مصف الأنبذة والخمور)[24]

الكتاب " **تاريخ افريقيةوالمغرب**" يعتبر مصدر هام لتاريخ أفريقية وبلاد المغرب نقل عنه الكثير من المؤرخون أمثال النويري وابن الأثير وابن عذارى وابن الآبار وغيرهم [25]، منذ بدايات الفتح الإسلامي على يد عقبة بن نافع وتأسيسه القيروان، ومواصلة الفتوح على يد زهير بن قيس البلوي وحسان بن النعمان وموسى بن نصير، ثم بداية مرحلة الولاة التي استمرت إلى غاية ظهور دولة الأغالبة على يد إبراهيم بن الأغلب، وتتوقف الأحداث عند ولاية ابنه أبي العباس عبد الله.

---

[20] حسين رشيق القيرواني، أنموذج الزمان في شعراء القيروان،تح.محمد العروسي المطوي و بشير بكوش،الدار التونسية للنشر،1986م، ص.55.
[21] ياقوت الحموي، معجم الأدباء ،إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح.إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط.1، 1993، ج.1، ص.97.
[22] ابن خلدون،المقدمة،تح.خليل شحادة و سهيل زكار،دار الفكر بيروت 2001، ص.7.
[23] نفسه ، ص.97.
[24] الموسوعة العربية، المجلد التاسع ص.885.
[25] ابراهيم بن القاسم الرقيق، تاريخ إفريقية والمغرب تح. عبد الله الزيدان و عز الدين موسى، دار الغرب الإسلامي بيروت،ط.1-1990، مقدمة التحقيق،ص.ف- ص.

المحاضرة (04) : مصادر تاريخ الدّولة الرّستمية في بلاد المغرب الأوسط (الجزائر)

الدولة الرستمية (160 . 296هـ/777 . 908م):

تنسب هذه الدولة إلى القاضي عبد الرحمن بن رستم فارسي الاصل جده بهرام من موالي عثمان بن عفان الذي انضم إلى أتباع أبي الخطاب الإباضي وبعد مقتله في مواجهة مع الجيش العباسي سنة 144هـ/762م فر عبد الرحمن بأهله وما خف من ماله الى الغرب ولحقت به جماعات من الأباضية فنزل بموضع (تاهرت) وبايعوه إماماً لهم، فأقام دولته بالمغرب الأوسط وجعل مدينة تاهرت عاصمة لها. وفي عهد أبنائه وأحفاده امتدت رقعة دولتهم لتصل إلى ضفاف النيجر جنوباً، وكانت معاصرة لدولة الأغالبة في تونس وبني مدرار في سجلماسة والأدارسة في فاس، واستمرت دولتهم عامرة إلى إن دخل أبو عبيد الله الشيعي إلى تاهرت وخربها سنة 296هـ/908 م، لتصبح جزءاً من الدولة الفاطمية [26].

مصادر تاريخ الدّولة الرّستمية:

1. أخبار الأئمة الرستميين لأبن الصغير:

المؤلف: **إبن الصغير المالكي** (كان بقيد الحياة في القرن 3 هـ/9 م) يعتبر ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية، من سكان تاهرت، عاصر أواخر أيامها، وقد جاءها وافدًا من الكوفة أو من البصرة، ولم يكن أصلًا من تاهرت، ولكن أقام فيها وترك العديد من المؤلفات ذكر فيها الأئمة ومختلف الأحداث التي وقعت في عهد كل منهم ولم يتحدث عن أخبار خارج تاهرت ، ورغم ذلك فقد انفرد ابن الصغير عن غيره من المؤرخين بمعلومات قيمة لا نجدها عند غيره من مؤرخي الاباضية و بخاصة المتعلقة بالجانب الاجتماعي والاقتصادي.

كتاب "**أخبار الأئمة الرستميين** " يعد من أقدم الوثائق المتعلقة بتاريخ إباضية المغرب العربي، مرجعا تاريخ تأليفه إلى حوالي عام290 هـ/903 م[27]. وجدت مخطوطة الكتاب في إحدى مكتبات مزاب في بداية القرن العشرين، وقام بتحقيقها المستشرق موتيلانسكي ونشر ضمن أعمال مؤتمر المستشرقين الرابع عشر الذي انعقد في الجزائر العاصمة عام.1905 [28] وأعيد طبع الكتاب عام 1976-1975 في مجلة الكراسات التونسية التي تصدر عن منشورات الجامعة التونسية، كما طبعت منه مستلة في عام[29] 1976 ثم قام بتحقيقه والتعليق عليه كل من د. محمد ناصر وإبراهيم بحاز اعتمادا على النسختين المطبوعتين، ونشر عام1986 م في **دار الغرب الإسلامي** في بيروت.

---

[26] خير الدين الزركلي، سير وتراجم وحياة الأعلام من الناس،دار العلم للملايين بيروت ط.7- 1986، ج.3،ص. 306.
[27] ابن الصغير المالكي ، أخبار الأئمة الرستميين، تح. محمد ناصر / إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة 1986، ص 13-14
[28] جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر)1984م. ص 07.
[29] ابن الصغير المالكي ، نفسه، ص 7.

اعتمد ابن الصغير في تأليفه لهذا الكتاب على مصدرين أحدهما ما رواه مشافهة عن إباضية تاهرت من ذلك روايته بخصوص مؤسس الدولة عبد الرحمن بن رستم :" أخبرني غير واحد من الإباضية عن من تقدم من آبائهم" [30] وهذا لما يهم الأحداث السابقة، أما المصدر الثاني فيتمثل في مشاهدته الشخصية باعتباره معاصرا للأحداث. من جهة أخرى يكاد الكتاب يخلو من تواريخ أو أخبار الدولة الرستمية خارج العاصمة تاهرت. يتطرق الكتاب إلى الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع التاهرتي بصفة سطحية نوعاً ما فهو يتحدث عن المذاهب والأعراق والأجناس التي عاشت في تاهرت، ولا يتحدث عن العادات الاجتماعية التي ميَّزت كل جنس عن الآخر. ويذكر التجارة الخارجية ولا يذكر البتة عن السلع المتداولة في سوق تاهرت. لكن رغم القلة التي عرفتها المعلومات الخاصة بالحياة الاجتماعية والاقتصادية في كتاب "أخبار الأئمة الرستميين" إلا أن ما ذكر رغم قلته مهمٌ ومفيدٌ.

لعل أهم ما نلمسه من هذا الكتاب إعجاب ابن الصغير ببعض الأئمة الرستميين مثل قوله: "لما ولي عبد الرحمن بن رستم ما ولي من أمور الناس شمر مئزره وأحسن سيرته وجلس في مسجده للأرملة والضعيف ولا يخاف في الله لومة لائم..."[31] ما يزيد من أهمية هذا الكتاب هو انتماء ابن الصغير إلى مذهب غير مذهب الإباضية، لكن مهما كان مذهبه فقد تحرى الموضوعية في دراسته حيث يقول: "وإن كنا للقوم مبغضين ولسيرهم كارهين، ولمذاهبهم مستقلين، فنحن وإن ذكرنا سيرهم على ما اتصل بنا، وعدلهم فيما ولوه فلسنا ممن تعجبه طلاوة أفعالهم ولا حسن سيرهم"[32]

تتجلى أهمية الكتاب في أن ابن الصغير عاش في مدينة تاهرت خلال حكم أبي اليقظان بن الأفلح، ودليلُ ذلك حديثُه عن المناظرة التي جرت على ضفة نهر مينة بين المعتزلة والإباضية إذْ يذكر رجلاً يسمى أبو عبيدة الأعرج فيقول: "وقد رأيت أنا هذا الرجل وجلست إليه..." [33]، ويتحدث عن مهنته ورغبته في طلب العلم قائلاً: "إن لي في الرهادنة دكاناً أبيع فيه وأشتري، وأتركه وآتي إليك [يقصد أبا عبيدة] فيأتيك الناس فتنشغل عني لا أنا بدكاني ولا أنا بمقابلة كتابي..." ثم يضيف على لسان أبي عبيدة: "إن هذا اليوم لهذا الفتى[ويقصد ابن الصغير][34] أما ما يعاب عن كتاب ابن الصغير فهو خلوه من تواريخ وسنوات الأحداث التي يذكرها ، ما عدا في مناسبة واحدة حين ذكر: "ثم مات أبو اليقظان سنة إحدى وثمانين ومائتين"[35]

ومجمل القول إن الكتاب هو تاريخ لتاهرت، وليس للإباضية كما في الكتب السابقة، لأن ابن الصغير كتب تاريخه بدواعي شعوره القوي بالانتماء إلى تاهرت المدينة[36]

2. سير الأئمة لأبي زكرياء الوارجلاني :

[30] ابن الصغير المالكي ، نفس المصدر، ص.28.
[31] نفسه، ص.32.
[32] نفسه، ص.31.
[33] نفسه ، ص 95
[34] نفسه، ص.97.
[35] ابن الصغير، نفسه، ص 102
[36] وداد القاضي، ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية، مجلة الأصالة، العدد 45، ماي 1997، ص 42.

المؤلف **أبو زكرياء يحي بن أبي بكر الوارجلاني** المتوفى سنة 471هـ/1078م [37] ، ولد في وارجلان جنوب المغرب الأوسط ، ينتمي إلى شيوخ الطبقة العاشرة [38] أي أنه عاش في النصف الثاني من القرن 5 هـ/11 م، هو إخباري وأحد شيوخ المذهب الإباضي، له أجوبة و فتاوي في علم الكلام، ورسائل في الفقه عاش في وارجلان بالجنوب الجزائري وإلى هذه المدينة ينسب. أما دراسته فقد تلقاها بوادي أريغ على يدي شيخ إباضي آخر هو أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي المتوفى عام471 هـ/ 1078. م .روى عنه أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي، وكانت له حلقة علم. وقد كان يشتغل بالزراعة للاسترزاق، وكان كريمًا سخيا، يزور أهل وارجلان ليؤنسهم، وطلبوا منه مَرَّة الإقامة ليستأنسوا به، فقال لهم: «قولوا: أقم عندنا قليلاً يمت قلبك، لِما اطَّلع عليه من سوء طريقتهم، ورداءة أحوالهم [39] «. يعتقد أنه دفن بوارجلان أو بسدراتة بالجنوب الجزائري أيضا

الكتاب : يعتبر **كتاب سير الأئمة الرستميين وأخبارهم** من المصادر الخاصة بتاريخ الإباضيين في بلاد المغرب، يشتمل الكتاب على روايات وأخبار حول الرستميين وتأسيس دولتهم وعاصمتها مدينة تاهرت وصولا إلى سقوطها في نهاية القرن الثالث للهجرة/مطلع القرن 10م، مع ما تخلل ذلك من صراع مع الشيعة .وقد بدأ أبو زكرياء الوارجلاني كتابه بذكر فضائل الفرس والبربر وهما القاعدة التي سترتكز عليها الدولة الرستمية، كما أورد أخبار الدعاة الخمسة الأوائل للمذهب الإباضي ببلاد المغرب ومن بينهم عبد الرحمن بن رستم، وبدايات انتشار الدعوة الإباضية ثم بناء مدينة تاهرت التي اتخذت تأسيس لدولتهم، وتحدث عن أخبار أئمتها واحدا واحدا، بالإضافة إلى أخبار شيوخ المذهب الإباضي بين الطبقتين السابعة والعاشرة أي بعد سقوط الدولة الرستمية. وقد اعتمد على هذا المصدر مؤلفون إباضية لاحقون من أهمهم أبي العباس أحمد الدرجيني صاحب كتاب الطبقات [40].

على الرغم من الفجوات التاريخة الموجودة في الكتاب مثل إهمال المؤلف لتاريخ الدول المجاورة للرستميين، وبخاصة منها دولة الادارسة والاغالبة، والعلاقات مع الامويين بالاندلس، فإن الكتاب يكتسي أهمية كبيرة ولا يمكن لأي باحث الاستغناء عنه في الكتابة عن الدولة الرستمية.

3. طبقات المشائخ للدرجيني:

المؤلف: **أبو العباس احمد بن سعيد بن سلميان بن يخلف الدرجيني الإباضي** (توفي حوالي670 هـ/1271 م) فقيهٌ ومؤرّخٌ إباضي ، إمام وشاعرٌ، ومؤلف.أشهر علماء درجين ببلاد الجريد، جنوب تونس، واحد من العلماء الخمسة في سلسلة نسبه، كلُّهم علماء نحارير.تلقَّى تعلُّمه الأوَّل بدرجين، ثمَّ رحل إلى وارجلان سنة 616 هـ/ 1219 م، وأخذ

[37] مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي ج.2،دار الغرب الإسلامي ط.2، 2000 م ص.451
[38] أبو العباس احمد الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، تح.إبراهيم طلاي، ج.1، مطبعة البعث قسنطينة 1974، ص.448
[39] أبي زكرياء يحي ،سير الأئمة وأخبارهم،تح.إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي بيروت،ط.2، 1982، ص.25
[40] ويكيبيديا الموسوعة الحرة

العلم عن الشيخ أبي سهل يحي بن إبراهيم بن سليمان لأعوام.[41] وفي سنة 633/ 1235 واصل الدراسة بتوزر، وأقام مدة بجربة حيث اشتهر بين العزّابة فيها بمعرفته الواسعة في الأدب واللغة والسير والفقه، واختاره عزابة الجزيرة لتأليف» طبقات المشايخ.[42]

بالإضافة إلى فقهه، وبلاغته ، فهو مؤرّخ من المحقِّقين، لم يكتف بنقل ما سبقه إليه غيره من كتَّاب سير الإباضية، وإنَّما أبدع منهجًا جديدا في كتابة السيرة الإباضية، وهو منهج الطبقات، إذ وضع في ذلك مؤلَّفه المشهور: «طبقات المشايخ بالمغرب».

الكتاب **طبقات المشايخ بالمغرب** في جزأين، وجعل كلَّ طبقة خمسين سنة، بدأ بالطبقة الثانية (50هـ- 100هـ/670-718م)، ولم يتكلَّف الكتابة في الطبقة الأولى، لأنها في اعتقاده أشهر من أن يضيف إليها شيئا، ولذلك جاء أبو القاسم البرادي بعده بقرنين تقريبًا ليكتب: «الجواهر المنتقاة فيما أخلَّ به كتاب الطبقات»[43]. وهو من وراء كتابه هذا يهدف إلى تبيين أنَّ هذا الدين ورد إلينا بالتواتر، جيلا عن جيل، وطبقة عن طبقة.

الكتاب: طبقات الدرجيني هو مجموعة من السير والتاريخ والفقه، وهو مفيد في تاريخ الإباضية بالمغرب، فيه معلومات قيِّمة عن واحات وارجلان وأريغ بتُقُّرت، ووادي سوف، وجربة، وجبل نفوسة... وغيرها.

ينقسم الكتاب إلى قسمين : أدرج في الأول منه ما كتبه أبو زكرياء الورجلاني مع تعليقات وتوضيحات غلب عليه الطابع التاريخي، واثبت في القسم الثاني من طبقاته مجموع سير العلماء وبعض الشخصيات الإباضية المشهورة، وقسم تراجمه إلى اثنتي عشرة طبقة تغطي كل طبقة منها فترة خمسين سنة وجاءت الطبقات الأولى خاصة بعلماء المشرق في القرنين الأول والثاني للهجرة مقتصرا على ما أورده أبو زكرياء الورجلاني بينما أفرد الطبقات الثمانية الموالية لمشائخ الإباضية بالمغرب واقتصر في الطبقات الأربع الأخيرة على شخصيات من وارجلان وسُوف والجريد و جربة.

4. سير المشايخ للشماخي:

المؤلف : هو بدر الدين أبو العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي. ولد في الأربعينيات من القرن التاسع الهجري في يفرن بليبيا [44]درس قي تِطَّاوِين وتَلاَلْت، بِجَبَل دمَّر في تونس، وأخذ عن أبو عفيف صالح بن نوح التندميرتي، والشيخ البيدموري، وأبو زكريا يحي بن عامر، ونقل كذلك عن محمد بن عبد الله السمائلي . توفي عام 928 هـ بجربة، ودفن بحومة تِيواجِين بجربة بتونس.[45]

كتاب " سير المشايخ" عمل ضخم في سير أعلام الإباضية البارزين وذلك منذ تأسيس الفرقة وحتى نهاية ق. 9هـ/15م. وتشكل هذه التراجم أساس العمل. ونجد فيه بالإضافة إلى المعطيات السيرية، روايات تاريخية طويلة تتعلق بأصول الفرقة

---

[41] الدرجيني أبو العباس أحمد، طبقات المشايخ بالمغرب، تح.إبراهيم طلاي،مطبعة البعث قسنطينة 1974م،ج.1، ص.ك

[42] محمد محفوظ ، تراجم المؤلفين التونسيين المؤلف، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان الطبعة: الثانية، 1994 م ج.2، ص.297

[43] موقع تاذارت، مركز الدراسات الإباضية

[44] الشماخي أحمد بن سعيد، كتاب السير، تح.أحمد بن سعود السيابي،مطابع النهضة مسقط 1987م. ج.1،ص.ج

[45] الشماخي ، نفسه. ج.1،ص.هـ .

الإباضية والحركات الإباضية في أفريقيا الشمالية. ونجد في هذا العمل كذلك –كما في مصنفات أبي زكرياء الوارجلاني ومصنفات الدرجيني – تفاصيل كثيرة عن حياة البربر الإجتماعية وعاداتهم الخ ..

يمكن تقسيم كتاب السير، بحسب مضمونه، إلى قسمين رئيسيين: فالقسم الأول يغطي تاريخ الإسلام منذ بدايته ومن ثم تاريخ الإباضية في العراق وفي الشرق إجمالا، بينما يعرض لنا القسم الثاني يعالج تاريخ الإباضية في أفريقيا الشمالية ومن ثم سير المشايخ الإباضيين في بلاد المغرب .وينقل لنا مؤلف كتاب السير في مصنفه هذا عن بعض الوثائق القديمة حيث اعتمد على مصادر عديدة و متنوعة، في الفقه وعلم الجدل، أو في التاريخ والسير، فاستطاع أن يجمع فيه سير أبي زكرياء و المزاتي و الوسياني ، وطبقات الدرجيني، وجواهر البرادي كما أورد عدة أخبار مأخوذة من كتب أهل السنة و غيرها، مثل: تاريخ الأئمة الرستميين لابن الصغير ومروج الذهب للمسعودي والرقيق القيرواني [46] إضافة إلى المصادر الشفوية، وتكتسي مادته أهمية فائقة في التاريخ الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي لبلاد المغرب في العصر الوسيط.

5. الجواهر المنتقاة للبرادي:

المؤلف : أبو القاسم بن إبراهيم البرادي الدماري أبو الفضل النّفوسي: (حي في: 810هـ / 1407م)[47] عالم إباضي من قبيلة دَمْر الزناتية من نفزاوة ، الجنوب التونسي «بني خداش حاليا»، درس في مسقط رأسه، ثمَّ انتقل إلى جزيرة جربة حيث تلقَّى العلم عن شيوخها أمثال: يعيش بن موسى الزواغي الجربي ؛ وانتقل بعد ذلك إلى يفرن بجبل نفوسة وتتلمذ على الشيخ أبي ساكن عامر بن علي الشمَّاخي (ت: 792هـ/1390م). فأصبح شيخًا وعالمًا فقيهًا ثمَّ رجع إلى دمَّر، ومنها إلى جربة حيث بدأ في نشر العلم، فتولَّى التدريس بالمدرسة التي تعلَّم بها؛ كما تولَّى رئاسة حلقة العزَّابة نظرا لما كان يتمتع به مؤلفنا من همة لم تفتر ونشاط لم ينقطع فقد زار بعض مواطن المذهب في بلاد المغرب الإسلامي للتعرف على أصحابه. وأدى فريضة الحج في سنة 775هـ/1373م ولقي إباضية عُمان بمكة المكرمة وحصل منهم على كتاب «كشف الغمة» في التاريخ .[48]

الكتاب:«**الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخل به كتاب الطبقات**»،أي طبقات المشائخ للدرجيني، الذي لم يتطرق إلى أحداث الخليفتين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وهي التي تعرف بأحداث الفتنة أو تاريخ الفتنة، أو الفتنة الكبرى، ورأى البرادي أن ذلك مخل بكتاب الطبقات، على اعتبار أن تلك الأحداث هي الأساس الذي افترقت عليه الأمة إلى فرق و مذاهب، لذلك فهو استدراك على كتاب الطبقات بذكر أحداث الفتنة الكبرى، حيث أن تلك الأحداث تشكل الجانب الأكبر والمهم من كتاب الجواهر، وقد ساق المؤلف بعض أحداث السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم بصورة موجزة، وأيضا ساق تاريخاً موجزا عن الخليفتين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب، كمدخل إلى ذكر أحداث الفتنة الكبرى بصورة مفصلة.

---

[46] تادايوش ليفيتسكي، المؤرخون الإباضيون، ترجمة ماهر/ريما جرار، مؤسسة تاوالت الثقافية 2007، ص.21.
[47] عمر كحالة ، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى لبنان، ج.8، ص.92.
[48] محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين ،دار الغرب الإسلامي ط.2، 1994، مج.1،ص.80.

المحاضرة(05) : مصادر تاريخ الدّولة الفاطمية بالمغرب

تاريخ الدولة الفاطمية (297-362هـ/ 909-973م):

ينسب الفاطميون أنفسهم إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وزوج علي بن أبي طالب ، من الطائفة الشيعية الإسماعيلية الإثني عشر بدأت بتواصل أبو عبد الله الشيعي " الصنعاني " مع مجموعة من قبيلة كتامة(المغرب الأوسط) في الحج سنة 279 هـ/ 893م . وأنتقل معهم إلى مواطنهم التي تتركز بين بجاية وجيجل وسطيف حتى قسنطينة ، وعاش بينهم عشر سنوات يبشر بظهور الإمام المهدي، أستطاع خلالها أن يشكل جيشا هاجم به دولة الأغالبة في المغرب الأدنى (إفريقية) وتمكن من القضاء عليها سنة 297 هـ /909 م [49].

خلال الحرب مع الأغالبة وصل عبيد الله " المهدي" إلى بلاد المغرب ووقع أسيرا في قبضة بنو مدرار سجلماسة، ما دفع أبي عبد الله الشيعي بالزحف نحو الغرب حيث قضى على دول الرستميين وبنو مدرار و الأدارسة وأطلق سراح عبيد الله من سجنه وعاد الجيش إلى القيروان فبايعه الناس بالخلافة سنة 297هـ /909 م ثم بنى المهدية وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين وبذلك قامت الخلافة العبيدية الفاطمية في بلاد المغرب .[50]

في عهد الخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين الله اتجه نحو مصر بجيش كبير يقوده جوهر الصقلي سنة 357هـ الذي بنى مدينة القاهرة فرحل إليها المعز سنة 362هـ وبلغت الدولة الفاطمية أوج إمتدادها من بلاد المغرب إلى اليمن وبلاد الشام .

بعد أن انتقل خلفاء الدولة الفاطمية إلى القاهرة ضعفت قبضتهم على بلاد المغرب، فأتيحت الفرصة أمام قبيلة صنهاجة البربرية لإنشاء إمارة محلية على يد بلكين بن زيري بعد أن أنابه الخليفة الفاطمي على شمالي إفريقيا(362-543هـ /973 - 1148م)، وبعد وفاته استقل ولده حماد بن بلكين في المغرب الأوسط ، مؤسسا للدولة الحمّادية(398-547هـ /1007- 1152م) وظل نفوذ الدولة الزيرية مقتصرا على إفريقية وليبيا و استمرت الدولتان حتى سقوطهما على يد الموحدين .

مصادر الدولة الفاطمية:

1. أفتتاح الدعوة للقاضي النعمان (ت.363هـ/ 974م)

المؤلف: النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي، الداعي الإسماعيلي هو من أهل القيروان بتونس مولداً ومنشأً ، ويقال له القاضي النعمان، واشتهر بأبي حنيفة كي يضاهي به الفاطميون أبا حنيفة النعمان فقيه الدولة العباسية[51].

---

[49] حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام ، الزهراء للإعلام العربي القاهرة ،ط.1، 1987، ص.179.
[50] ألفرد بل ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي ،ترجمة عبد الرحمن بدوي،دار الغرب الإسلامي بيروت ط.3، 1987، ص.158- 161
[51] القاضي النعمان المغربي، دعائم الإسلام ، تح.أصف بن علي ، دار المعارف 1963،ج.1، ص.11.

ويعدّ القاضي النعمان من أركان الدعوة الفاطمية بمصر، كان عالماً بالفقه والقرآن والأدب والتاريخ. ، كان فقيهاً بالمذهب المالكي ثم تحوّل إلى المذهب الإسماعيلي سنة 333هـ، وأخذ يؤلف الكتب في فقه المذهب الإسماعيلي، ويعدّ أهمّ واضعي هذا المذهب.

قدم القاضي النعمان مع الخليفة الفاطمي المعز إلى مصر سنة 362هـ، وكان قاضي قضاته في القاهرة، وقد عاصر من خلفاء الفترة الإفريقية كلاً من المهدي والقائم والمنصور وعمل معهم.[52]

عرف القاضي النعمان بأنه وضع أسس القانون الفاطمي، وينظر إليه بحق على أنه المشرع الأكبر للفاطميين، ويعتبر أقوم كتابه " دعائم الاسلام" القانون الرسمي للدولة منذ عهد المعز حتى نهاية الدولة الفاطمية [53]، معبراً بذلك عن التطلعات العالمية للخلفاء الأئمة الفاطميين وفي نفس الوقت مدركاً لكون الإسماعيلين أقلية داخل المجتمع المسلم الأكبرفي شمال أفريقيا. لقد نظم القانون الإسماعيلي معتمداً على الإمامية والزيدية وكذلك على المصادر السنّية؛ وتوجت جهوده بتأليف كتاب 'دعائم الإسلام' في مجلدين، ناقش فيهما قوانين العبادة والشؤون الدنيوية (معاملات)، وذلك بإشراف ودعم الإمام الخليفة المعز ليتم إعتماده كمرجع قانوني رسمي للدولة الفاطمية.

تميز القاضي النعمان بأنه كان مؤلفا كثير الانتاج، ينسب إليه أربعة وأربعون كتابا، تتراوح بين الخلاصات القانونية الكثيرة ، وبين مجموعات الحديث، وأعمال عن التأويل والمذهب الإسماعيلي الباطني، مثل'أساس التأويل' و'تأويل الدعائم'، فضلاً عن التأريخ، ولاسيما كتابه 'إفتتاح الدعوة' الذي يغطي خلفية إنشاء الدولة الفاطمية.

توفي القاضي النعمان في القاهرة عن عمر يناهز الثامنة والسبعين عاماً، سنة 363 هـ/974 م[54]

الكتاب''افتتاح الدعوة'' دَوَّنَ وقائعه وكتب فُصوله الدَّاعي''القاضي النعمان'' سنة 346هـ ويعتبر الكتاب من روائع كتب الدعوة الإسماعيلية و الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، قسم المؤلف كتابه إلى أربعة أقسام حسب مراحل الدعوة الفاطمية بدأه بذكر ابتداء الدعوة باليمن ، ثم ذكر أمر الدعوة بأرض المغرب إلى ظهور المهدي، ثم خروج كتامة على الدولة الأغلبية وقضائها على دول المغرب الأخرى والقسم الرابع والأخير خصه لتأسيس الدولة الفاطمية296هـ/909م حتى تاريخ الإنتهاء من الكتاب سنة 346هـ .[55]

لا يتطرق المؤلف إلى العقائد الدينية أو للفلسفة أو للأحكام الشرعية والفقهية الشيعية، اذ يمكن اعتباره كقصة تاريخية طريفة تروي وقائع مهمة، وأحداث رهيبة جسيمة وقعت على ساحتي اليمن وبلاد المغرب. واهم ما يميز الكتاب انه يكتب عن دعوة دينية و دولة سياسية كان يمثل فيها داعي دعاتها وقاضي قضاتها ايدها بما صنف والف من مؤلفات فقهية وسياسية تشد السلطة وتحكم ادواتها.

[52] الموسوعة العربية، أعلام ومشاهير، المجلد الخامس عشر،ص.139.
[53] القاضي النعمان المغربي ، دعائم الإسلام ، تح.آصف فيضي،دار المعارف 1963، ج.1، ص.12.
[54] القاضي النعمان المغربي ، نفسه ، ج.1 ، ص.9.
[55] القاضي النعمان المغربي، افتتاح الدعوة، تح.فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع تونس 1986، ص.هـ

2. اتعاظ الحنفاء للمقريزي:(766 . 845 هـ/ 1364 . 1441م)

المؤلف: هو المؤرخ **أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي الشافعي** من أعلام التاريخ و مؤرخ الديار المصرية. أصله من بعلبكّ، ونسبته إلى حارة المقارزة (من حارات بعلبكّ بالشام) ولد ونشأ ومات في القاهرة، وولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة مرات واتصل بالملك الظاهر برقوق، فدخل دمشق مع ولده الناصر سنة 810 هـ وعرض عليه قضاؤها فأبى وعاد إلى مصر.[56]

في أواخر سني عمره زهد في المناصب والمسؤوليّات، وانقطع للكتابة ليترك العديد من المؤلفات المهمَّة، يقول السخاوي أنَّ تصانيفه زادت على مئتي مجلد كبير. ولكن ما طبع منها حَتَّى اليوم نحو أربعين كتاباً فقط.[57]

احتل المقريزي مركزاً عالياً بين المؤرخين المصريين في النصف الأول من القرن التاسع الهجري، حيث أن معظم المؤرخين الكبار كانوا تلاميذ المقريزي، مثل أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي مؤلف " النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" والسخاوي.

من مؤلفاته كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك الذي احتل المكانة الأولى بين كتب التاريخ في عصره، و كتاب (عقد جواهر الأسفاط من أخبار مدينة الفسطاط)، الذي حاول فيه المقريزي أن يكتب عن تاريخ مصر خلال الفترة التي امتدت منذ الفتح العربي إلى مرحلة ما قبل تأسيس الدولة الفاطمية،وكتاب (إغاثة الأمة بكشف الغمة) الذي يتحدث فيه عن تاريخ المجاعات في مصر وأسبابها وكتابه (اتعاظ الحنفا بأخبار الخلفا) حول تاريخ مصر في زمن الدولة الفاطمية.

الكتاب " **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**" يعتبر أكمل مصدر عن التاريخ الفاطمى، إبتدأه بتأريخ أصل الفاطميين و مشكلة نسبهم و قيام دولتهم في المغرب و خلفائها الاربعة هناك. و بعدها تكلم عن دخول الفاطميين مصر و صراعهم مع القرامطة، ثم أرخ لكل خليفة فيهم واحداً تلو الاخر لغاية ما انتهت اليه دولتهم. استوعب المقريزى في هذا الكتاب خلاصة ما ذكره المؤرخون عن الفاطميين في عصره و العصر الذي سبقه. نقل المقريزي في هذا الكتاب من مصادر عدة فُقد بعضها، و كانت هذة المصادر لمؤرخين مثل ابن زولاق والقاضي النعمان وابن الطوير والأمير ابن شداد وأخى محسن وابن المهذب وابن رزاء.

ويقع الكتاب في ثلاثة أجزاء، و قام المقريزي بتقسيم فترة حكم كل خليفة إلى سنوات ويتحدث عن كل سنة على حدة:

- الجزء الأول عن ذكر أولاد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وينتهي بذكر أحداث سنة 886 م.
- الجزء الثاني فيبدأ الحديث عن الحكم بأمر الله أو علي المنصور ويختم بالحديث عن أحداث سنة 487 هـ.
- الجزء الثالث من عام 487 هـ حتى نهاية الدولة الفاطمية [58].

[56] الزركلي خير الدين، الأعلام ، دار العلم للملايين، بيروت ط.7، 1986، ج.1، ص.177.
[57] عزّت السيد أحمد، الموسوعة العربية ، أعلام ومشاهير،المجلد 19، ص.273.
[58] عن الكتاب موقع موسوعتي https://mawsoati.com/plus

3. البيان المُغْرِب لابن عذاري المَرَّاكُشي

المؤلف: هو **أحمد بن محمد أبو عبد الله بن عذاري** مؤرخ. أندلسي الأصل، من أهل مراكش [59] أحد كبار مؤرخي المغرب الإسلامي، عاش في النصف الثاني من ق. 7 وأوائل ق. 8 هـ/ 13 و14م.، في مدينة مَرَّاكُش المغربيّة ، وتوفي بعد سنة (712 هـ/ 1312 م) استناداً إلى ما ذكره في كتابه في الجزء الخاص بالموحدين عن مصير أبناء المرتضى حيث قال «..وأخوه محمد بغرناطة في وقتنا هذا، وهو عام اثني عشر وسبعمئة[60]»

الكتاب: **البيان المُغرِب في أخبار أو تلخيص أخبار الأندلس والمَغرِب**، يُعدُّ من أشمل الكتب التاريخية وأوثقها التي وصلتنا عن تاريخ شمال إفريقيا والأندلس، ألّفه ابن عِذاري في حدود سنة 712 هـ/ 1313م، وذلك حسبما يشير هو إلى هذا التاريخ (البيان المغرب/ القسم الموحِّدي). وعلى الرغم من تأخّر زمن تأليف هذا الكتاب، لكنه يحوي أخباراً كثيرة وروايات نادرة، تجعله يرقى إلى مستوى الأصول الأوليّة التي لا يمكن الاستغناء عنها في دراسة تاريخ شمال إفريقيا والأندلس، نظراً لاعتماده على المصادر القديمة المعاصرة أو القريبة للأحداث التاريخية التي يتناولها. ومما يزيد في قيمة هذه النصوص أن أصولها فُقدت، ولم يعد بإمكان الباحثين مراجعتها، إلاّ من خلال هذا الكتاب.

يتألّف البيان المغرِب في أخبار الأندلس والمغرِب من ثلاثة أجزاء حسب تقسيم المؤلّف.

الجزء الأول تاريخ شمال إفريقيا منذ الفتح العربي الإسلامي حتى ظهور المرابطين والموحِّدين؛ فأشار إلى الأحداث في المغرب اعتباراً من سنة (21 هـ/ 641-642 م)، وتكلم عن ولاية إفريقية في العهدين الأمويّ والعباسي،ثم أخبار الفاطميين،والزَّنَاتيين، والصَّنهاجيين، والمدراريين السِجِلماسيين، والأدارِسة، وغيرهم ممن سكن في شمال إفريقيا والمغرب الأقصى إلى القرن 6هـ/ 12م.

الجزء الثاني تناول أخبار الأندلس من الفتح العربي الإسلامي، وما أعقبه عصر الولاة، ثم قيام عصر الإمارة، وعبور عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس (138-172 هـ/ 755-788 م)، متحدّثاً عنه وعن أعقابه الذين تولّوا إمارة البلاد حتى إعلان الخلافة الأُموية في الأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر لدين الله (300- 350 هـ/ 912 . 961م)، إلى انتهاء الخلافة الأموية وقيام دول الطوائف، التي تحدّث عنها بالتفصيل. حتى دخول المرابطين إلى البلاد سنة (478 هـ/ 1850م).

الجزء الثالث وصل فيه إلى أخبار سنة 667 هـ واختصر فيه أخبار الدولة المرابطيّة إلى حين ابتداء الدولة الموحِّديّة، وتناول ما دار بينهما من صراع انتهى بتفوّق الموحّدين. كما أشار أيضاً إلى أخبار الدولة الحفصية في إفريقية، وبعض أخبار دولتي بني هود، وبني الأحمر في الأندلس، والدولة المرِينيّة في المغرب، إلى حين انتصار هذه الأخيرة واستيلائها على مدينة مَرَّاكُش عاصمة الموحِّدين في مطلع سنة (665 هـ/ 1268 م)[61].

ولقد سار ابن عِذاري على منهج محدد في تأليفه للكتاب ، استمدّ من قراءاته الواسعة ، واطّلاعه على الكثير من المؤلفات المشرقيّة والمغربيّة، وتكفي القائمة الطويلة التي أوردها في مُقدِّمة كتابه، والتي يذكر فيها المصادر التي نقل منها أخباره ، لتأييد هذا الأمر. فهو إذاً كان على معرفة بالمدارس التاريخية وأساليب الكتابة التي سادت قبله ، والتي يأتي في مُقدِّمتها أسلوب الحوليّات، أي ترتيب

---

[59] الزركلي خير الدين، الأعلام ،دار العلم للملايين، ط.2002،5 ،ج.7، ص. 95

[60] ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، تح.محمد الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي بيروت 1985، ص382

[61] ابن عذارى المراكشي ، البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمَغرب، تح.ج.س.كولان و ليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت، ط.1983،3، ج.1، ص.3-5

الأحداث التاريخية وسردها حسب تعاقب السنين، وهو الأسلوب الذي سبق أن اتّبعه أبو جعفر محمد بن جرير الطَّبَريّ (ت 310 هـ/ 922 م)، وأسلوب الرواية، أيّ اختصار الأخبار وروايتها كحادثة واحدة متصلة بغض النظر عن السنين التي وقعت فيها الحادثة التاريخية. أما الأسلوب الآخر الذي كان شائعاً في التدوين التاريخي، فهو الكتابة عن تأريخ المدن والأقاليم بشكل منفصل، وتختلط في هذه الحالة المعلومات التاريخية بالمعلومات الجغرافية. وكانت هذه الظاهرة أمراً مألوفاً، لأن المؤرخين المسلمين، لاسيما في المغرب والأندلس، كانوا يبدأون تاريخهم بالحديث عن جغرافية البلد الذي يؤرخون له.

حاول ابن عِذاري أن يوفق بين هذه الأساليب كافة في التدوين، فاتخذ مبدأ الحوليّات أساساً في الترتيب، الذي أطلق عليه اسم "نسخ التاريخ" . ولكنه طوّر في هذا الأسلوب ليجعله ملائما لعصره، فمزج بالأسلوبين اللذين أشرنا إليهما أعلاه، أيّ الرواية وتأريخ المدن والجماعات. وقد خدمته هذه الطريقة في عرض الأحداث، ويرويها كحادثة واحدة، خشية أن ينقطع السياق. ويخرج ابن عِذاري أيضاً عن إطار الحوليّات حينما يورد أخباراً تفصيلية عن موضوع مُعيّن، أو جماعة خاصة. ويظهر من هذا أنه كان يحبّذ أسلوب الرواية، لاسيما وأنه تعوَّد على إيراد نصوص طويلة عن المؤرِّخين الذين سبقوه. وكان في أثناء سرده لخلفيّة الأحداث، يتقدّم بالإشارة إلى نتائجها عندما يتطلَّب السياق ذلك. ولم يكن لِيتاحَ له هذا لو اقتصر على تنظيم كتابه على أسلوب الحوليّات فقط[62].

[62] عبد الواحد دنون طه، مصادر في تاريخ المغرب والأندلس، دار المدار الإسلامي، 2001

المحاضرة (06) : مصادر تاريخ الدّولة الحمّادية بالمغرب الأوسط

دولة بني حماد أو الدولة الحمادية (398 – 547هـ/1007 – 1152م)

تعتبر أول دولة بربرية مستقلة تحكم المغرب الأوسط، في العصر الإسلامي. أقامها حماد بن بلكين أو بلقين الزيري، بعد انفصال عن أبناء عمومته الزيريين في إفريقية. يبدأ تاريخها الحقيقي حين اختط حماد القلعة، وتعاقب على حكم هذه الدولة تسعة أمراء، اختلفوا قوةً وضعفًا وأسلوب حكم، ، سقطت الدولة على يد عبد المؤمن بن علي الموحدي.

مصادر دولة بني حماد

1. أعمال الأعلام لأبن الخطيب.

المؤلف: المؤرخ المسلم **لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب** (713-776هـ/1313-1374م) كان شاعرا وكاتبا مالكيا ومؤرخا وفيلسوف وطبيبا وسياسيا من الأندلس درس الأدب والطب والفلسفة في جامعة القرويين بمدينة فاس، قضّى معظم حياته في غرناطة في خدمة بلاط محمد الخامس من بني نصر وعرف بلقب ذي الوزارتين: الأدب والسيف.

انتقلت أسرته من قرطبة إلى طليطلة ، وبعد ولادة لسان الدين في رجب سنة 713 هـ ، كان عمر ابن الخطيب 28 سنة عندما حل مكان والده في أمانة السر للوزير أبي الحسن بن الجيّاب سنة 741 هـ. ثم تولى منصب الوزارة بعد موت هذا الأخير. لكن الحسّاد أوقعوا بينه وبين الملك الغني بالله فلجأ ابن الخطيب إلى المغرب حيث دخل في طاعة سلطان فاس سنة 773 هـ. لكن خصومه الأندلسيين أوقعو بينه وبين السلطان الذي زج به في السجن حيث توفي خنقا ، ودفن بروضة أبي الجنود خارج أسوار فاس سنة 776 هـ/ 1374م.

ترك ابن الخطيب آثاراً متعددة تناول فيها الأدب، والتاريخ، والجغرافيا، والرحلات، والشريعة ، والأخلاق، والسياسة والطب ، والبيزرة، والموسيقى، والنبات .منها في التاريخ :* الإحاطة في أخبار غرناطة* اللمحة البدرية في الدولة النصرية * اعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام.

الكتاب: "**أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، وما يجر ذلك من شجون الكلام**" تجاوز فيه المؤلف الإطار الضيق الذي وسم به كتابه، وأخذ يجمع المواد لتاريخ عام كبير، يشمل دول الإسلام، كما فعل معاصره" ابن خلدون" يدخل فيه أكثر تاريخ الأمويين والعباسيين، ودول المشرق، والمماليك البحرية والدول العلوية بمكة والمدينة، وتاريخ الأندلس والملوك النصارى فيها، وتاريخ المغرب.

وأما قضية (من بويع قبل الإحتلام) أي من وصل لسدة الحكم قبل الحلم" البلوغ " هذا الآخر ليس حيز في الكتاب من قريب أو من بعيد، ولعله فقد مع ما فقد من الكتاب لكن الناظر في الجزء الثاني من الكتاب يعلم أن الكتاب قد أتمه ابن الخطيب وأنه ليس ثمة جزء أو قطعة مفقودة منه عندما ينتهي لذكر دولة الأمير عبد المؤمن بن علي أول الموحدين.

يتألف الكتاب من ثلاثة أقسام أو أجزاء:

- الجزء الأول حققه رابح المغراوي وفيه تاريخ المشرق من عهد النبوة فالدولة الأموية إلى الدولة العباسية بذكر إماراتها و الممالك المستقلة فيها .

- الجزء الثاني أخرجه المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال عالج تاريخ الأندلس كله حتى وفاة المؤلف(776هـ) ومعه شيد من خبر ملوك النصارى.

- الجزء الثالث والأخير حققه كل من الأستاذين: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني ويتطرق إلى ملوك المغرب ودولهم حتي عصر الموحدين ولم يتمم تاريخ المغرب ربما لوفاته.

و طبع الكتاب بجميع أجزائه في مجلد واحد، بـ" تحقيق": سيد كسروي حسن، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة و الجماعة، بيروت لبنان.

الكتاب تسلسلي "التاريخ السلالي " للأسر الحاكمة في المغرب الأندلس (وهذا أهم مافي الكتاب) حتي حياة المؤلف

أما مادة الكتاب فهي مهمة في أقسامها الثلاثة وإن كان القسم الأندلسي أعظم ما جاء فيه، وقوة المادة التي أرخ فيها ابن الخطيب لدول المغرب مثل الأغالبة ومنطقة صقلية، وقبائل صنهاجة، وبني يفرن وغيرهم الكثير. لقربه من عدة مصادر أطلع عليها ربما بعضها لم يصلنا، وتجد عن مصادر المغرب معلومات حتي عن الريف المغربي وذكر ملوكها الحميرين، ودولة الأدارسة بالمغرب الأقصى.

2. المؤنس في أخبار إفريقية وتونس لابن أبي دينار القيرواني

المؤلف: **عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني** المعروف بابن أبي دينار المتوفي بعد سنة 1110هـ/ 1698م، من مؤرخي تونس وأدبائها في القرن السابع عشر ميلادياً .

ولد في مدينة القيروان(لم تذكر المصادر تاريخاً محدداً لولادته)وتعلم فيها، ويبدو أنه زاول دراسته بجامع الزيتونة بتونس حيث أخذ العلم عن الشيخ أحمد فتاته واستفاد منه، كما أخذ عن الأستاذ المعروف بابن الشيخ من علماء عصره، وذكر في آخر كتابه «المؤنس» في أخبار إفريقية وتونس أنه عاين أعلاماً فضلاء، وأئمة نبهاء، وأخذ عن بعضهم، منهم الشيخ أحمد الشريف الأكبر، وأبو عبد الله الغماد، وأبو الحسن الغماد والشيخ المهدوي، والشيخ سعيد الشريف، وأبو القاسم الغماري، والشيخ أبو الحسن علي بن عبد الواحد الأنصاري على ما يؤخذ من تأليفه الأدبي «هداية المتعلم».

عمل ابن أبي دينار بالتدريس، ثم كلّفه مراد الثاني (1666 1675) بمهامّ في القصر، وولي قضاء سوسة، ثم القيروان، ويؤخذ من تأليفه هذا أنه سكن تونس بعد ذلك.[63]

الكتاب:**المؤنس في أخبار إفريقية وتونس** فرغ من تأليفه سنة 1092 هـ يعد من أهم المصادر التي تناولت تاريخ إفريقية وتونس أو منطقة المغرب الأدني بعامة، وقد أثني عليه عدد كبير من المؤرخين المسلمين والمستشرقين ، فقد انطلق من حيث انتهى ابن الشماع، أي بداية من سنة 1526 م، فجاء أثره مخصوصًا بمدينة تونس التي يقول عنها "مدينة الخضراء العلية، عروس البلاد الإفريقية" وقد

[63] سلسلة أعلام ومشاهير ،المجلد التاسع ، ص. 570

عرّف في بابه الأوّل من هذا الكتاب بتونس، وتطرق إلى تاريخ إفريقية فاستقى أخبارها منذ قدوم المسلمين إلى آخر الإمارة الحفصية من المصادر السابقة عليه، وتحدث عن التوسع التركي. وقدم نبذة عن السلاطين الأتراك في الباب التاسع إلى سنة 1681.

اعتمد على البكري والبلاذري وابن ناجي وابن سعيد والطبري وأبو الفداء ، ونقل عن ابن شبّاط و الزركشي وابن الشماع والرصاع وغيرهم، شأنه في ذلك شأن مَنْ سَبقَهُ من المؤرّخين، ولما انقطعت الأخبار بعد 1526 لجأ إلى الروايات الشفوية والشّهادات العينيّة في شأن الأحداث التي عايشها خاصة.

وينقسم الكتاب إلى سبعة أبواب وخاتمة: فالأول في وصف تونس، والثاني عن ولاية أفريقية، والثالث عن فتح العرب، وبقية الأبواب في تاريخ الدول المتعاقبة على إفريقية، والسابع والأخير عن عهد السيادة التركية، وتتضمن الخاتمة أربعة أقسام تحتوي على زيادات وتتمات، وبعضها ذو طابع عرضي كمعلومات متفرقة عن تونس وما حدث فيها من تغييرات على مر التاريخ، وعما اكتسبه صحيح البخاري من رواج في شمال إفريقية.

و خصّص خاتمة هذا الكتاب للحديث عن مدينة تونس من حيث تنظيمها القضائي والعسكريّ مع وصف العادات والتقاليد اليوميّة ومظاهر الحياة الدينيّة.

الكتاب في مجمله موسوعة شاملة بحق، فهو مصنف نقلي دقيق للقرن 11هـ/17م، جمع بين دفتيه عددا كبيرا من الملاحظات الطبوغرافية والتاريخية عن إفريقية، وذلك منذ الفتح العربي الإسلامي لها حتي الفتح العثماني، والمؤلف لا يفتقر إلي موهبة النقد، وأفاد كثيرا من مواد جديدة لم تصل إلينا بطريق مباشر.

ويتضمن أيضا حديثا مفصلا عن الخطط والعمران وبيان نظم البلاد السياسية والعلمية، مما يبين عمومه وشموله وغزارة مادته وتوثيقها ، وذلك بالإضافة إلي أن المؤرخ كان معاصرا لكثير من الأحداث وشاهد عيان عليها، ولذلك فإن هذا الكتاب أسهم مساهمة كبيرة في التأريخ لمنطقة المغرب الأدني ولا يخلو من أهمية حتي فيما يتعلق بتاريخ إسبانيا.

ونظرا لأهمية هذا الكتاب فإنه حظي باهتمام المؤرخين اللاحقين في العهود التي تلته ، وكان دافعا لبعض المؤرخين للتأليف في تاريخ إفريقية وتونس.

3. نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري

المؤلف: **شهاب الدين أحمد بن عبد الوهّاب بن محمد النويري**، نسبة إلى قرية النويرة بمحافظة بني سويف بالصعيد جنوب مصر ولد سنة 677هـ[64] الموافق 1278 م[65]، ودرس في القاهرة وأزهرها، وتخصص في دراسة الحديث والسير والتاريخ، اشتغل بادئ حياته في نسخ الكتب القيمة و كتب صحيح البخاري ثماني مرات، وكان يبيع كل نسخة بخطه بألف درهم ، كما عمل في بلاط السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون، ونال حظوته، ومارس الكتابة والحسبة، تولى جيش طرابلس ما ساهم في توسيع مداركه واكسبه ذلك معرفة موسوعية.

[64] مقدمة كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1423هـ، 1/ 3- 11
[65] الزركلي, خير الدين ،الأعلام، مج.1 بيروت: دار العلم للملايين، ط 15، 2002 ص، 165.

رحل النويري سنة 733 هـ /1333 م عن عمر يناهز 65 عام وعشرة أشهر.[66]

الكتاب: **نهاية الأرب في فنون الأدب** قدم النويري للثقافة الإنسانية موسوعته الكبرى نهاية الأرب في فنون الأدب والذي يضم ثلاثين مجلدًا، التي أخرج الجزء الأول منها في ذى القعدة 721هـ .

قد يُفهم من عنوانه أنه يعالج موضوعًا واحدًا وهو الجانب الأدبي، ولكنه كتاب يحتوي على موسوعة ضخمة تجمع بين الأدب والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والاجتماع والعلوم الدينية ونظم الحكم والتراجم والفنون والعلوم، وغير ذلك من ضروب المعرفة التي تجعل منه دائرة معارف لما وصل إليه العلم عند العرب في العصور الوسطى.

تشتمل الموسوعة على خمسة فنون: السماء والأثار العلوية والأرض والأثار السفلية وهو قسم جغرافي فلكي عام / الإنسان وما يتعلق به / الحيوان/ النبات/ التاريخ .

تشغل الأقسام الأربعة الأولى عشرة مجلدات ،أما القسم الخامس و هو التاريخ ، فيشغل واحداً و عشرين مجلداً ، ذاك أن النُويري في الأساس مؤرخٌ عظيم ، و قد سرد فيه تاريخ الإنسانية بدءاً من أبي البشر أدم مروراً بالأنبياء حتى سيد الرسل محمد صلى الله عليه و سلم و مراحل التاريخ الإسلامي المتعددة.

[66] ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر، اباد، الهند، الطبعة الثانية، 1392هـ= 1972م، 1/ 231

المحاضرة (07) :مصادر تاريخ الدّولة المرابطية في المغرب والأندلس

دولة المرابطين (427 . 541هـ /1035 . 1146م):

يعرف المرابطون بالملثمين، وهم من أصول صنهاجة، أسسوا دولتهم خلال القرن الخامس والسادس الهجريين في منطقة المغرب الإسلامي التي انبثقت من حركة دعوية إصلاحية قامت على المذهب المالكي السني ظهرت في منتصف القرن الخامس الهجري بزعامة (عبد الله بن ياسين) الذي استطاع أن يستميل إليه أكثر القبائل الصنهاجية البدوية ،وبمساعدة زعمائها تمكن من السيطرة على المناطق الصحراوية حتى حدود النيجر والسنغال، ثم توجه شمالاً وكان دخول وسيطرة المرابطين على سجلماسة سنة447 هـ باكورة عملياتهم العسكرية الكبرى لتوحيد المغرب الإسلامي ، وبعد وفاته سنة 451هـ /1059م تولى زعامة المرابطين (يوسف بن تاشفين)، الذي يعد المؤسس الحقيقي للدولة المرابطية والذي دانت له أكثر قبائل المغرب قبل أن يستقر في مدينة مراكش واتخذها عاصمة للدولة، ودخل الأندلس وأخضعها لسلطته بعد معركة الزلاقة، بعد أن استنجده ملوك الطوائف من زحف الممالك المسيحية القشتالية.، ومن بعد وفاته تداول الحكم أولاده وأحفاده إلى أن انقرضت دولتهم على يد الموحدين سنة 541هـ/1146م.

مصادر دولة المرابطين:

1. الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية لأبن سماك العاملي

المؤلف : **أبي القاسم محمد ابن أبي العلاء محمد بن سماك بن عبد الحق العاملي الغرناطي** أديب أندلسي مشهور عُدَّ واحدا من الشخصيات المؤثرة على الواقع السياسي لسلطنة غرناطة انذاك لتبوئه مناصب سياسية مهمة ، كان والده(ت.750هـ) كاتبا لدى سلاطين بني الأحمر ، فنشأ في ظل أسرة توارثت العلم والمعرفة شغل منصب كاتب لدى أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد بن الأحمر الخزرجي النصري هو كاتب في التاريخ يعتبر من المصادر الهامة المتعلقة بتاريخ المغرب الإسلامي وبخاصة في عهد المرابطين والموحدين وبني مرين وبني الأحمر[67] ترجم له ابن الخطيب في الكتيبة الكامنة في أعيان المئة الثامنة[68]

الكتاب:" **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية** " يعتبر من المصادر التاريخية المهمة التي تدرس تاريخ دولة الموحدين في المغرب والأندلس حيث يؤرخ المؤلف ابن سماك العاملي لفترة من عصر الموحدين تستوعب خمسة عشر عاماً يبدأها من عام 554 هـ/ 1159م، وتخص عهد عبد المؤمن بن علي، وينتهي تأريخه اثناء عام 568 هـ/ 1172 م ، ويقدم المؤلف في كتابه نفاصيل وافية عن الأحداث والأعمال الاقتصادية والمنشآت المعمارية ، وعن الأنظمة الموحدية، والحياة الفكرية والأدبية و الدينية، إضافة إلى مجموعة من الرسائل الموحدية والقصائد والقطع الشعرية كما يورد بعض التراجم الأندلسية

[67] أحمد علي صكر،ابن السماك العاملي مناهجه وموارده في كتابة...مجلة الدراسات التربوية والعلمية-الجامعة العراقية،ع.10، مج.2، تموز2017، ص.14-15.

[68] ابن الخطيب لسان الدين،الكتيبة الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح.إحسان عباس، دار الثقافة بيروت ط. 1983، ص.299.

وفي الكتاب يبدأ المؤلف بذكر السبب في تأسيس مدينة مراكش وبنياتها، وارتياد موضعها ومكانها، ويعقّب بعرض موسع عن تاريخ المرابطين فيذكر السبب في خروج الملثمين، ويورد نبذاً من اخبار المتقدمين منهم ، ثم يردف بذكر يوسف بن تاشفين ونسبه ، وأوليته في حكم الملثمين، وحروبه ومراسلاته ثم يتحدث عن حلفائه ...

وينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الموحدين، فيذكر ظهور المهدي، وابتداء أمره، ويورد اخباراً عن نسبه وكنيته ولقبه، ورحلته إلى المشرق، ثم عودته إلى المغرب...ثم يعود للحديث عن آخر حكام الدولة المرابطية ، و الصراع القائم بينهم وبين أتباع المهدي بن تومرت بقيادة خليفته عبد المؤمن بن علي، والذي انتهى بمقتل تاشفين بن علي، وفرض الحصار على مراكش . ثم ينتقل المؤلف إلى ذكر أخبار عبد المؤمن بن علي، وأبرز الأحداث على عهده ...

وينتقل بعد ذلك للحديث عن خلفاء بني مرين الذين استولوا على ملك الموحدين في بلاد المغرب الأقصى ويقدم في نهاية الكتاب خلاصة يلم فيها بشكل وجيز بملوك الدول سالفة الذكر.

2. مذكرات الأمير عبد الله " المسماه بكتاب التبيان"

المؤلف: **عبد لله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن زيرى بن مناد الصنهاجي** ولد سنة 447هـ، الملك الثالث والأخير من بني زيرى البربرية الصنهاجية ، وُليَ بعد جَدّه الحاجب المظفّر بالله سنة 465هـ وذلك بعد سقوط الخلافة الأموية بقرطبة ، تم خلعه من قبل يوسف بن تاشفين سنة 483هـ وكان عمره 35سنة ونقل إلى مراكش[69].

الكتاب: **مذكرات الامير عبد الله " آخر ملوك بين زيري بغرناطة " 469– 483" المسماه بكتاب التبيان"** تمت كتابة المذكرات اثناء إقامة الامير عبد الله الإجبارية في آغمات ، وتعد هذه الترجمة الشخصية تكون أغنى مجموعة وثائق نملكها عن تأريخ ملوك الطوائف وأقلها تحويرا، كما نستطيع ان ندرك ذلك بسهولة .وعلى الرغم من الاستطرادات الطويلة التي يحاول فيها المؤلف أن يبرر موقفه السياسي امام الأخطار التي كانت تهدد مملكته، فإن كتاب" التبيان "يقدم لنا سردا مفصلا جدا لجميع الحوادث التي أدت إلى استيلاء ألفونس السادس على مدينة طليطلة عام 478 1085 وإلى تدخل المرابطين في شبة جزيرة إبريا في السنة التالية.

كما ان مذكرات عبد لله هي وثيقة سيكولوجية من الطراز الأول، يساعد بصورة أفضل من كتب التأريخ التي ألفت من بعد، على الحكم على حالة الانحلال الاجتماعي والسياسي في الأندلس قبل معركة الزلاقة وبعدها، وعلى التقدم الذي حققه في هذا الوقت أنصار استرجاع اسبانيا المسلمة إلى النصرانية .ومن جهة اخرى، إن قص الحوادث السابقة على حكم الأمير عبد لله نفسه هو أيضا أمر جديد وهام جدا.

3. الأنيس المطرب لابن أبي زرع الفاسي: (؟- 726 هـ ، ؟- 1326 م)

المؤلف: هو **أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن عمر بن أبي زرع الفاسي** مؤرخ مغربي، احترف التوثيق بسماط العدول بفاس ، و ذلك مما يدل على توثيقه و نزاهته فيما نقل من تاريخ الدول السابقة و الدولة المرينية التي عاصرها . له كتاب روض

[69] كتاب التبيان، الأمير عبد الله بن زيري، تح.ليفي بروفنسال، دار المعارف بمصر،1955 ، ص.208.

القرطاس نشره المستشرق دمباي وترجم إلى كثير من اللغات الأوروبية، لأهميته التاريخية وأصالة مادته. وله كتاب زهرة البستان في أخبار الزمان، لا يزال مفقود.

الكتاب: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ظل الكتاب لفترة طويلة من أهم مراجع المؤلفين المغاربة نظرًا لشموله ووفرة أخباره واتساعه لفترة تاريخية كبيرة، حيث تناول فيه الكاتب أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. تميز كتاب «الأنيس المطرب» بكونه لم يكن سيراً لأشخاص أو تاريخاً لأعمالهم وحروبهم، بل شمل مجمل المحطات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية فهو بمثابة تاريخ عام للمغرب الأقصى، عالج فيه حقبة زمنية تجاوزت خمسة قرون و نصفاً [70]، ويعد هذا الكتاب نموذجاً مهماً للتواريخ المحلية التي تؤكد اعتزاز المؤرخ بوطنه[71] وقد سمى البعض هذا التوجه عند ابن أبي زرع بـ « فكرة الوطنية المغربية .« كتب ابن أبي زرع عن دول عديدة مختلفة الاتجاهات ولم ينقص أو ينحاز من قيمة أية دولة، باستثناء تعاطفه مع دولة الأدارسة لرجوع نسبهم إلى أهل البيت[72]

موضوع القرطاس هو تاريخ المغرب عموما وتاريخ مدينة فاس خصوصا كما يدل عليه أسمه، يبدأ الكتاب بعرض الخبر عن ملوك المغرب من الأدارسة الحسنيين وذكر قيامهم وبنيانهم مدينة فاس، دار ملكهم وقرار سلطانهم، ويختتم الكتاب بالخبر عن الأحداث التي كانت بالمغرب من سنة ست وخمسن وستمائة إلى سنة ست وعشرين وسبعمائة، يفصل لك الأخبار في كل هذه الفترة التاريخية ويرصد لك الأحوال السياسية وأخبار الملوك وتعاقبهم وما دار في عهد كل ملك.

يؤرخ الكتاب للفترة الممتدة بين بداية دولة الأدارسة بتولي مولاي إدريس بن عبد الله) إدريس الأول) سنة 172 هـ/788 م وأواسط عصر بني مرين، ويتوقف تأريخه عند سنة726 هـ/ 1326 م، وهو ما يوافق عصر السلطان المريني عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، عاشر سلاطين بني مرين، المكنى بأبي سعيد. ويقع الكتاب في أربعة أقسام ، يؤرخ كل منها لحقبة منفصلة (سلاطين الأدارسة والمغراويين / المرابطون /الموحدون/ المرينيون)

أسلوب ابن أبي زرع أسلوب فقيه أو عدل متوسط المعرفة بعلوم اللغة، وعباراته تختلف باختلاف المؤلفين والرواة الذين ينقل عنهم . و طريقة ابن أبي زرع ليست طريقة الحوليات التي جرى عليها أغلب المؤرخين المسلمين ، ولكنها طريقة من يؤرخ للدول، فهو يذكر الدولة ونسبها وتشعب قبائلها ومراحل تأسيسها ثم يذكر سلاطينها واحدا واحدا وما قاموا به من أعمال، ثم يذكر في نهاية الكلام على كل دولة ما حدث في أيامها من أحداث اجتماعية واقتصادية وظواهر طبيعية كوفيات الأعيان ورخاء الأسعار وانتشار الأوبئة والمجاعات ونزول الأمطار بغزارة وظهور نجوم غريبة[73].

4. المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي(581 -647 هـ/ . 1185 – 1250 م)

[70] ليفي بروفنسال، مؤرخو الشرفاء، تعريب عبد القادر الخلاَّدي، دار المغرب، الرباط، 1977، صص. 68 - 69
[71] عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، مصر، 1967، ص. 104
[72] المؤرخ ابن أبي زرع ومنهجه في كتابة "الأنيس المطرب "الدكتور مزاحم علاوي الشاهري والدكتور سالم محمود عيسى، جامعة الموصل ، واي باك مشين WayBackMachine 23 سبتمبر 2015.
[73] دعوة الحق ، مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية و بشؤون الثقافة والفكر أسست سنة 1957 ، العدد 222

المؤلف: هو **محيي الدين عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي** مؤرخ مغربي عاصر الموحدين، ولد بمراكش في مستهل خلافة أبي يوسف المنصور الموحدي، وتعلم بفاس ثم بالأندلس، رحل إلى مصر في سنة 613 / 1217، وكانت له جولة في بعض بلدان المشرق. وألف كتابه "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" نزولا عند طلب وزير من بطانة الناصر العباسي[74] ، وذلك في سنة 621 / 1224. و يُستفاد من كتابه أنه كان من أسرة عربية يباهي بالانتساب إليها، لها مال وجاه، وأن خروجه من بلاده لم يكن مما اختاره لنفسه، ولعله أكره على ذلك لسبب سياسي.

الكتاب: المعجب في تلخيص أخبار المغرب .كتاب في التاريخ ألفه عبد الواحد المراكشي استجابةً لطلب أحد الأعيان الرؤساء، الذي سأله إملاء أوراق تشتمل على بعض تاريخ بلاد المغرب موطنه وبلده ووصف في الكتاب بلاد الأندلس وذكر فتحها وأخبار ولاتها وخلافاتهم وذكر ملوك الطوائف وتناحرهم واستغلال الأسبان و الفرنج لهذه الأحداث إلى حدود سنة 621هـ/ 1225م، ولقد زين المراكشي كتابه بذكر الشعراء وشيئا من اشعارهم مع ذكر القضاة والحجاب والوزراء في العهد دولة الموحدين و دولة المرابطين. نشره المستشرق الهولندي دوزي بمدينة ليدن سنة 1847؛ وأعاد نشره محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي في مصر سنة 1368 / 1949.

جاء الكتاب في عشرة فصول، الأول في ذكر جزيرة الأندلس وحدودها، والثاني في فضل المغرب، والثالث في بني حمود، والرابع في ذكر أحوال الأندلس، والخامس في ملك بني عباد بإشبيلية، والسادس في دولة المرابطين، والسابع في حياة عبد المؤمن بن علي الموحدي وأعماله، والثامن في أحوال الأندلس بعد سقوط دولة المرابطين، والتاسع في دخول بني مردنيش في طاعة الموحدين، والعاشر في ذكر أنهار الأندلس المشهورة.

احتوى الكتاب على تلخيص تاريخ الأندلس والمغرب منذ الفتح العربي حتى عصر الخليفة أبي محمد عبد العزيز بن أبي يعقوب يوسف، واهتم خاصة بعصر الموحدين ودولتهم، التي نشأ في كنفها، ولكنه على سبيل الاستطراد قدم له بمقدمة موجزة في تاريخ المغرب والأندلس منذ الفتح العربي، فصار الكتاب تاريخاً عاماً وشاملاً للأندلس، له قيمة أدبية وتاريخية كبيرة، ولاسيما فيما يخص تاريخ الموحدين لأنه كُتِبَ بقلم رجل معاصر وشاهدِ عيان على الأحداث. ويمكن تصنيف ما كُتبَ عن الموحدين في هذا الكتاب في سياق ما يسمى عادة بالتاريخ الأصلي، الذي يكون صاحبه معاصراً للأحداث التي يؤرخ لها، وهو أقرب أصناف التاريخ إلى الصدق والحقيقة.

من أهم مصادر المراكشي المشاهدة الشخصية والمعاينة ، ثم النقل عن شهود عيان اطلعوا على الأحداث وخبروا تفاصيلها، وهذا ينطبق على الفترة الموحدية التي عاصرها، والتي تتميز بشيء من التفصيل والتركيز، ممَّا لايُرى في بقية الفترات، التي اتسمت بفقرها الشديد بالمعلومات التاريخية والفكرية والإدارية والاجتماعية.

[74] أبو العباس الناصر لدين الله (553-623ه/1158-1225م) خليفة عباسي حكم بين عامي(575-623ه/1179-1225 م) حاول إعادة الخلافة إلى دورها المهيمن السابق،مدد سيادته إلى بلاد ما بين النهرين وبلاد فارس .كما كان أيضاً عالماً، ومؤلفاً، وشاعراً، وراوياً للحديث. تولى الحكم بعد أبيه المستضئ بأمر الله وحكم ما يقارب خمسين عاما. أنظر: الأيوبي محمد بن شهنشاه، مضمار الحقائق وسر الخلائق، تح.حسن حبشي،عالم الكتب القاهرة،1401ه، ص4-5.

المحاضرة (08) : مصادر تاريخ الدّولة الموحدية بالمغرب والأندلس

دولة الموحدين (515-665هـ/1121-1266م):

ظهرت دولة الموحدين على أنقاض دولة المرابطين، وترجع نشأتها إلى محمد بن تومرت (471 - 524 هـ/ 1079- 1130م) ويعتبر خليفته عبد المؤمن بن علي المؤسس الفعلي للدولة الموحدية فهو الذي دخل مراكش وقضى على آخر أمراء المرابطين إسحاق بن علي بن تاشفين عام(541هـ/1147م) ، حكم عبد المؤمن بن علي أربعًا وثلاثين سنة حتى **558هـ1163م** وخلفه عدد من الحكام أشهرهم ، أبو يوسف يعقوب المنصور (580 - 595 هـ/1184 - 1199م)، الذي أنشأ مدينة الرباط وألحق الهزيمة بالجيش الإسباني في معركة الأرك سنة 591هـ/1267م، وكان آخرهم عمر المرتضى الذي طرده إدريس أبو دبوس و أخذ منه مراكش بمساعدة بني مرين، وانتهى الأمر بمقتله سنة 665هـ/1266م.

مصادر الدولة الموحدية

1. كتاب أخبار المهدي بن تومرت للبيذق:

المؤلف: **أبو بكر بن علي الصنهاجي** الشهير بالبيذق أحد تلاميذ ابن تومرت ورفيق دعوته، لا يعرف عن تاريخ ولادته ومكانها ولا عن طفولته وتعليمه، الذي يعرف عنه هو أنه عاصر نهاية الدولة المرابطية، وتوفي في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن الموحدي، وينتمي الى قبيلة إيزناكن { صنهاجة }، وقد صحب المهدي بن تومرت ابتداء من السوس في جنوب المغرب، وقد تكونت صحبته مع ابن تومرت بحكم تجاور قبيلته صنهاجة مع قبيلة المهدي بن تومرت { أرغن }،و أنهما كانا معا في رحلتهما الى المشرق، وهناك مرافقين آخرين كانا معهما وهمايوسف الدُكالي، والحاج عبدالرحمن، وعند رجوعهم من المشرق انضم اليهم عبد المؤمن بن علي الكومي عند وصولهما الى شمال تلمسان بالجزائر،[75] واتجه الجميع الى مراكش عاصمة المرابطين آنذاك. ويعتقد أزايكو أن كنية { البيذق } أطلقها عليه ابن تومرت ، و تعني الدليل والرائد، فمن ضمن مهمات البيذق تجاه إمامه ابن تومرت الى جانب تدوينه لأخباره وأعماله، أنه كان دليلا له في أسفاره، لخبرته ومعرفته بالطرق والمسالك، وكان مكلفا بمسك مقود بغلته المسماة { تويمق }[76].

الكتاب: **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين** يعد من بين الكتب التاريخية القليلة التي أُلّفت في بداية العصر الموحدي وسَلمت من التلف الكُلي كتاب من تأليف أبي بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق سماه ناشره الأول (أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين)، كتاب قيم جدا من الوجهة التاريخية، ترجع أهميته إلى كون مؤلفه شارك بنفسه في صنع الوقائع التي وصفها، لأنه أحد تلاميذ الفقيه محمد بن تومرت الهرغي مهدي الموحدين، ورفيق من رفقاء خلفه العبقري عبد المومن بن علي الكومي باني دولتهم، وإلى كون الأخبار التي تضمنها فيها من الدقة والتفصيل والسذاجة أيضا ما يكشف جوانبي غامضة من نفسية محمد بن

[75] أزايكو علي صدقي ، نماذج من أسماء الأعلام الجغرافية والبشرية المغربية منشورات المعهد الملكي للثقافة الامازيغية، المملكة المغربية،ص.89-91.

[76] البيذق،أبو بكر علي الصنهاجي،أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة الرباط 1971، ص.38.

تومرت وسلوك أنصاره وحقيقة دعوته، ويلقي أضواء على تنظيمات حركته ومراحل الصراع العنيف الذي اقترن في المغرب برجوعه إليه من رحلته المشرقية وانتهاء بالقضاء على دولة المرابطين. ويظهر أن الكتاب عرف في الأول رواجا في الوسط الثقافي، فقد اعتمده مؤرخان اثنان فيما وقفت عليه وجعلاه من مراجعهما فيما ألفاه، أحدهما ابن القطان صاحب كتاب نَظم الجمان، والثاني ابن عذارى صاحب البيان المغرب، ولكنه اختفى بعد ذلك، فلم يعد أحد من المؤرخين ينقل عنه أو يتحدث بشيء عن مُؤلفه، وإنني لأتخيل المراحل التي قطعها هذا المؤلف منذ تأليفه في منتصف القرن السادس الهجري إلى أن نشرته المطبعة في منتصف القرن الرابع عشر، فأتصور أن البيذق كتب منه نسخة واحدة أهداها إلى أحد خلفاء الدولة الموحدية وأودعها خزانة من خزائنهم الواسعة فاستفاد منها من كان يمكنه الوصول إليها قبل أن تتيه بين آلاف من كتبها ودواوينها .

2. كتاب:الإعلام للعباس المراكشي :

المؤلف: هو « **عباس بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد السملالي المراكشي المالكي** (1294-1378هـ / 1877- 1959م) » ، "ولد ونشأ بمدينة مراكش ، من الفقهاء القضاة بادي النباهة، ظاهر النجابة[77]." أخذ العلوم الدينية واللغوية على شيوخ وعلماء مراكش في مساجدها ومدارسها، وأجازه علماء عصره كالشيخ الكتاني والقادري من المغرب والشيخ محمد حسنين ويوسف الدجوي من مصر.

ترجم له إدريس بن الماحي الإدريسي في كتابه :" معجم المطبوعات المغربي" (2) فقال له :"الفقيه العلامة النوازلي، المؤرخ المطلع، الكاتب البارع، المؤلف المشارك، المتفنن، المتحلي بمحاسن الشمائل" اشتغل في بداية حياته بالتدريس ، ثم رتب في هيأة العلماء بمراكش.

استفاد الفقيه المراكشي من إقامته في مدينة فاس في خدمة السلطان مولاي عبد الحفيظ 1325هـ/1907م إذ اعتبر الأستاذ ابن منصور هذه الفترة "من أخصب سني حياة المؤلف. لأنه استطاع خلالها أن ينمي معارفه ويظهر مواهبه، ويلفت إليه الأنظار، ويطلع على ألوان من الحياة، وأوجه من المدنية لم يتح له أن يطلع عليها قبل الاستقرار بفاس"[78].

وبالرغم من اشتهار أمر المراكشي مؤرخا، فقد ألف في الفقه والحديث و الأدب ، إضافة إلى كتابه التاريخي الموسوعي "الإعلام." الكتاب : **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام** ، من أهم وأشهر كتب ومؤلفات القاضي العباس ، عبارة عن موسوعة استقى المؤلف مادته من مصادر كثيرة مخطوطة ومطبوعة، واستغرقت مدة تأليفه أزيد من خمسين سنة "مطالعا كل ما يقع بين يديه من الكتب والأوراق والظهائر والرسوم لينتقي منها كل ما يمت بسبب وثيق أو واه إلى مراكش وأغمات، ومن ولد بهما أو زارهما من الملوك والأمراء والوزراء والعلماء والأدباء والأولياء والصلحاء ، وحتى الحمقى والمجاذيب"[79] ، مع التمهيد لهذه التراجم بوصف المدينتين وبيان فضلهما وما خُصّتا به من المزايا.

يشتمل كتاب الإعلام على مقدمة أسماها المؤلف "**الطالعة الزهراء في فضائل أغمات ومراكش الحمراء، وما يناسب ذلك من فرائد الفوائد الغراء.**"أحتوت أربعة فصول ركزت على تاريخ المدينتين مراكش و أغمات ومجالهما العمراني والسياسي و

---

[77] المراكشي العباس بن إبراهيم ،الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ، مقدمة المحقق عبد الوهاب بن منصور ،المطبعة الملكية الرباط،ط.2، 1993 ص.ه

[78] المراكشي ، نفس المصدر، ص. و.

[79] المراكشي،المصدر السابق، ص.ط.

العلمي، معتمدا على من قبله من مؤرخين وجغرافيين، فقهاء ومحدثين ، منبها إلى فوائد علم التاريخ، مع ما يناسب ذلك من الاستشهادات .

أما قسم التراجم يتكون من عشرة أجزاء [80] ضم تراجم ألف وستمائة وخمسين من الأعلام الذين حلّوا بمراكش وأغمات من عظماء الرجال في جميع الميادن، معتمدا في ذلك على جميع المراجع القديمة والحديثة التي وقف عليها. ، سواء اشتهروا في ميادين السياسة والحرب، أو برزوا في مجالات العلم والأدب، أو بسقت دوحاتهم في جنات التقوى والصلاح، مضيفا إليهم حتى الذين لم يقف على دخولهم إياها صراحة، وإنما خدمتهم للملوك تقضي ذلك...، موردا أكثر ما وقف عليه من أشعارهم وأخبارهم وآثارهم لم يتقيد المؤلف بمنهجية واحدة في الترجمة لكل صنف من المترجم لهم، فهناك من تطول ترجمته ، فتشغل أكثر من عشرين صفحة، وقد تقصر فلا تزيد على السطرين، يورد فيها ما ذكره السابقون من المؤرخين والفقهاء: من أقوال وروايات، وأخبار، وكرامات، ومناقب، وآيات، مع مقتطفات شعرية أو قصائد مطولة في بعض الأحيان.

وكثيرا ما كان المراكشي ينص على ذكر مصادره التي استقى منها مادته، كـ"نفح الطيب" و"أزهار الرياض " و"الإحاطة" و"المسند الصحيح" و"التكملة" و"الجذوة" وغيرها. وقد رتب المؤلف تراجمه ترتيب الألفبائية المغربية، مقدما الأحمدين والمحمدين تعظيما للرسول عليه السلام، ناهجا في ذلك نهج ابن الخطيب في "الإحاطة" وابن الأبار في "التكملة."

3. نظم الجمان لابن القطان:

المؤلف: **ابن القطان(أبو محمد) حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك المراكشي الكتامي** عاش خلال ق 7هـ / 13م من مشاهير البربر، يكنيه ابن عذاري،: "بالفقيه بن القطان"، (توفي تقريبًا سنة 670 هـ / 1271 م).

ولم تمدنا المصادر التاريخية المتوافرة بشيء عن ترجمته، باستثناء نص لابن عذاري، أشار فيه إلى صلته بالخليفة الموحدي أبي حفص عمر بن إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن الملقب بالمرتضى (665 646 هـ/ 1248- 1266م)، وأنه ألف له مجموعة من الكتب، وهذا ما يُستخلص أيضًا من القطعة المتبقية من نظم الجمان.

هو من مدينة فاس، وأصله من الأندلس من مدينة قرطبة، وقد كان عالما بالحديث، وعلى رأس طلبة العلم في مراكش، اتصل بخدمة الموحدين، وكان من أكابر دعاتهم، وأبرز رجال دولتهم، توفي سنة 628 هـ / 1230 م في مدينة سجلماسة.

وهذه المعلومات عن الأب تفيدنا في تصور ما كان عليه ورث الابن الحسن أبو محمد عن أبيه منذ طفولته مبادئ الدعوة الموحدية حماسه لها، واجتهاده في خدمتها، وهذا، كما يبدو، هو الذي أوصله إلى بلاط الخليفة المرتضى، وأصبح من كتَّابه ورجال دولته[81].

الكتاب: **نظم الجمان و واضح البيان فيما سلف من أخبار الزمان** [82]، يُستشف من القطعة الباقية منه، أنه تاريخ "بلاطي" خالص، من طراز الكتب التي ألفها مؤرخون "منتفعون" من الدولة التي يستظلون بظلها.

---

[80] تم طبع الكتاب في حياة المؤلف في خمسة أجزاء، بالمطبعة الجديدة بفاس، ما بين سنتي 1936 – 1938، كما طبع الكتاب ثانية بتحقيق الأستاذ ابن منصور وقد استغرق تحقيق الكتاب كاملا وطبعه فيما بعد أزيد من تسع سنوات، الجزء الأول سنة 1974، والجزء العاشر والأخير سنة 1983.

[81] الزناتي أنور محمود ، دراسات تحليلية في مصادر التراث العربي، دار زهران للنشر الأردن، ط.1، 2011 م، ص.145.

[82] ابن القطان حسن بن علي، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح.محمود علي مكي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1990م

المحاضرة (09) :مصادر الدّولة الزّيانية في المغرب الأوسط

دولة بني زيان في المغرب الأوسط (667 – 796هـ/1269 – 1393م):

نشأت دولة بني زيان عقب سقوط الدولة الموحدية عام 667 هـ/1269م، فقد كان بنو زيان ولاة على المغرب الأوسط من قبل الموحدين، وكانت تلمسان عاصمة دولتهم التي استمرت حتى سنة 796هـ /1393م، و من أبرز ملوكهم أبو حمو موسى الثاني 753هـ/1352م، ، ففي عهده غدت تلمسان منارة للعلم يقصدها الطلاب من أنحاء العالم الإسلامي كافة، غير أن الاضطرابات بدأت تسود الجزائر مع نهاية القرن الرابع عشر ميلادي بسبب الهجمات التي كان يقوم بها الإسبان بين الحين والآخر إلى أن استعان أهلها بخير الدين بربروسا الذي مهد السبيل لدخول العثمانيين فيما بعد إلى الجزائر بدءاً من سنة 1518م.

مصادر الدّولة الزّيانية:

1. نظم الدرر والعقيان محمد بن عبد الله التنسي(ت 899هـ/ 1494م) [83]

المؤلف : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل بن عبد الله المغراوي الأمويّ التنسي التّلمساني ، إمام ومحدث ومقرئ وفقيه مشهور باسم الحافظ التَّنسي ولد حوالي سنة 820 هـ / 1417 م [84] قبل سنة 833 هـ / 1430 م [85]، بمدينة تنس التي كانت حاضرة ومركزا علميا وميناءا تجاريا هامّا بالمغرب الأوسط في العهد الزياني، واشتهر بالتلمساني بعد أن اتخذ تلمسان موطناً له، حيث كانت من أهم مراكز العلم والأدب والثقافة ومعقلاً من معاقل المذهب المالكي ، وقد اشتهر التنسي بالعلم في زمانه فقد كان حافظاً مؤرخاً وأديباً وكان من أكابر علماء تلسمان ومحققيها له" نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان "طبع. و" راح الأرواح فيما قاله أبو حمو وقيل فيه من الامداح"، و"فهرست " بأسماء مشايخه، و" الطراز "في الضبط، أي في رسم الخراز، و"فتاوى "حول مسألة يهود توات وغيرها [86] .

الكتاب: **نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن تلك من أسلافهم فيما مضى من الزمان**، ذا قيمة تاريخية ورد ذكره في معظم المصادر وبه اشتهر وقد ألفه لمولاه أبي عبد الله محمد المتوكل، يتكون من خمسة أقسام وهي:

- القسم الأول: في التعريف بنسبه الشريف.
- القسم الثاني: فيما يختصّ بالملك من الخصال وما يليق به من السيرة وجميل الخلال.
- القسم الثالث: في ذكر ملح ونوادر مستظرفة رُويت عن أجناس مختلفة.
- القسم الرابع: في محاسن الكلام المستعملة في النثر والنظام وهو القسم الذي جرى تحقيقه في الكتاب الذي نقلب صفحاته.

---

[83] ابن مريم التلمساني ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. تحقيق ابن أبي شنب. المطبعة الثعالبية. الجزائر. 1906 م. ص 248.
[84] التنسي محمد بن عبد الله. تاريخ بني زيان ملوك تلمسان. مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان. تحقيق محمود آغا بوعياد. مطبعة الجيش. الجزائر. 2007 م. ص 12
[85] التنسي محمد بن عبد الله ،الطراز في شرح ضبط الخراز. تحقيق أحمد شرشال. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. 2000 م. مقدمة المحقق. ص 125.
[86] عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية بيروت 1980، ص85

– القسم الخامس: في الحكم والمواعظ.

بالعودة إلى قسم محاسن الكلام المستعملة في النظر والنظام نجد أن المؤلف قسّمه إلى ثمانية أبواب. الباب الأول: في بيان فضل الشعر وذكر شيء من فوائده. الباب الثاني: في ذكر التشريع. الباب الثالث: في التجنيس. الباب الرابع: في التوجه. عالج المؤلف في هذا الباب نوعين من أنواع البديع أولهما: التوجيه، والثاني: التوريه. الباب الخامس: في الطباق. قدم التنسي في هذا الباب نوعين من أنواع البديع هما الطباق واللف والنشر. الباب السادس: في مراعاة التنظير. الباب السابع: في العكس. الباب الثامن: في الاقتباس. ولا يعني الاقتباس هنا من القرآن أو الحديث فحسب بل من سائر العلوم.

2. البستان في ذكر الأولياء لأبن مريم:

المؤلف: **محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم** الشريف المليتي نسبًا المديوني نِجارًا[87] التلمساني منشًأ ومولدًا ودارًا[88] (توفي مابين سنتي 1025 و 1028 هجرية)، أخذ عن أبيه مبادئ اللغة والفقه وتلقى تعليمه الأولي بمدارس تلمسان. يعتبر من أبرز فقهاء تلمسان في عصره لمعارفه الفقهية واللغوية، امتهن التدريس خلفاً لوالده سنة 985هـ، فاهتم بتقييد الأخبار وقراءة الشروح اللغوية. اشتهر بزهده وتفوقه في المسائل الفقهية، تتلمذ عليه الكثير ممن أصبحوا علماء في عصره، من أمثال عيسى البطيوي الذي ترجم لشيخه في كتابه "مطلب الفوز والفلاح"، ومحمد بن سليمان الذي ذكر في "كعبة الطائفين" أن ابن مريم ظل مواظباً على التدريس مهتماً بالتأليف حتى وفاته

ذكر ابن مريم عن نفسه في آخر "البستان" [89] أن له أحد عشر تأليفاً أغلبها شروح وتقاييد في أمور الفقه والعقائد والذكر والكرامات والزهد والتراجم، أشهرها كتابه في التراجم الذي عنونه بـ "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، أو البستان في ذكر مناقب أولياء تلمسان" الذي جمع فيه آثار أولياء تلمسان وفقهائها الأحياء منهم والأموات، وتضمن تراجم مفصلة لـ 182 عالماً وولياً صالحاً معظمهم ولدوا أو عاشوا أو تعرفوا على تلمسان؛ فمنهم من غادرها إلى ديار أخرى ومنهم من قضى بها نحبه. يعتبر هذا الكتاب من أهم كتب التراجم التي عرفت بالأولياء والعلماء والمدرسين والأدباء، ومصدر أساسي للتعرف على الحياة الثقافية والعلمية والدينية بتلمسان وأحوازها خلال الفترة الممتدة من القرن السادس إلى الحادي عشر للهجرة.

الكتاب **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان** ، من كتب التراجم النفيسة، سمح لنا مؤلفه – رحمه الله – بمعرفة عدد كبير من العلماء والأولياء الذين عاشوا في تلمسان وأحوازها، فذكر أسمائهم وأحوالهم وعلومهم وأثارهم وما يتعلق بهم مما يقدم لنا صورة عن العصر الذي عاشو فيه، كما زودنا هذا الكتاب بمعلومات في غاية الأهمية عن الحركة العلمية بتلمسان و أحوازها بصفة خاصة، وبلاد الغرب الإسلامي بصفة عامة، بالإضافة إلى الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمنطقة.

يعتبر كتاب البستان المؤلف الوحيد المطبوع من مؤلفات ابن مريم، وقد ترجم فيه لأثنين وثمانين مائة عالم ولي ولدوا بتلمسان أو عاشوا بها.

[87] النُّجار أو النِّجار هو الأصل والنسب .مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 1426 ه 2005 /م، ص903 .
[88] ابن مريم نفس المصدر، ص.5.
[89] المصدر السابق، ص.308

أشار المؤلف في أول الكتاب الى هدف تأليفه، فقال أنّه يقصد "جمع أولياء تلمسان و فقهائها الأحياء منهم و الأموات ، وجمع من كان بها و حوزها و عمالتها "[90].

لم يحصر أبن مريم سبب الخوض في الترجمة للأولياء والعلماء في الإفادة الدينية وفي التقرب إلى الله ، بل ذكر في خاتمة الكتاب هدفا علميا للكتابة في مثل هذا الموضوع فقال : " أعلم أن معرفة الكتب وأسماء المؤلفين من الكمال ومعرفة الفقهاء من مهمات الطالب ، وكذلك ما ألّفوه في حصر المسائل"[91].

رتب ابن مريم تراجمه حسب حروف الهجاء ، مبتدأ بمن إسمه أحمد ومنهيا تراجمه بمن إسمه يحي، وقد تفاوتت تراجمه في الطول تفاوتا كبيرا، فبعضها لا يزيد على سطر واحد بينما خصص أبن مريم لبعض العلماء عدة صفحات من كتابه، ومما يجب التنبه إليه ان إبن مريم ترجم لبعض الأعلام من فقهاء المالكية ممن لم تكن لهم علاقة مباشرة بتلمسان كخليل ابن إسحاق والإمام أبن عَرَفة و البَرزلي.

3. بغية الرواد ليحي بن خلدون

المؤلف: هو **أبو زكريا يحي بن محمَّد بن خلدون** من مواليد 733هـ/ 1332م بتونس ، وهو شقيق الأصغر للمؤرخ الشهير عبد الرحمان ابن خلدون صاحبِ كتاب «العبر »،أصل هذا البيت من إشبيلية انتقل إلى تونس في أواسط المائة السابعة، و نسبه في حضرموت إلى وائل بن حجر.

كان يحي بن خلدون مؤرخ من أفاضل العلماء وأعيان الأدباء الشعراء ورئيس كتبة ديوان الإنشاء بتلمسان عايش زخم الأحداث السياسية والصراعات بين الأسر الحاكمة في المغرب العربي في ظل حكم بني عبد الواد في تلمسان وملكها أبو حمو موسى الثاني ، وبسبب الصراع على ولاية العهد بين ولدي أبي حمو قُتل غيلة سنة 780هـ/ 1379م .

الكتاب : بغية الرواد في أخبار بني عبد الواد وأيام أبي حمو الشاهنة الأطواد ضم دقائق الأمور عن تلك الفترة التي عاصرها ويحمل معلوماتٍ في غاية الأهمية للباحثين التاريخيين والدارسين والأدباء ومحبِّي التراث وأخبار الملوك القدامى، خاصة ما تعلق بسيرة أبا موسى حمو حيث يسرد الكثير من تفاصيل حياته وبلاطه ونماذج من قصائده وقصائد شعراء أندلسيين عديدين كانوا يراسلونه، و يقول عنه : إنه كان ملكاً أديباً وشاعراً ومتمكناً من "العلوم العقلية والنقلية"، وقد زاوج بين حنكة السياسي الذي يدير دولة وبين الفقه والأدب، وبرغم دخوله في حروب كثيرة دامت سنوات مع الحفصيين في تونس والمرينيين في المغرب، إلا أن أبا حمو لم ينس الأدب وقرض الشعر.

يقع الكتاب في جزأين لم يخصصه المؤلف لتاريخ الملوك من بني زيان فحسب، بل جاء حافلاً وثرياً، عالج جوانب كثيرة من تاريخ الدولة الزيانية. إذ أفصحت مقدمته عن دوافع تأليفه للأمير أبي حمو. يقول: "تخليداً ما لدولته الكريمة من فعال وبأس ونوال، وأحاديث صحاح للفخر... وما جمعته سيرته الكريمة من حرب وسلم... وتدوين ما اشتملت عليه أيامه من أخلاق وجدة وإيمان وردة وفرج من بعد شدة ليكون لذلك أسوة في الفخر اللباب وذكرى لأولي الألباب"[92]

---

[90] ابن مريم نفس المصدر ، ص.5.
[91] نفسه ، ص.308.
[92] يحي بن خلدون، بغية الرواد ، ج 1، ص. 4

أشار المؤلف إلى أنه رتب كتابه على ثلاثة أقسام، وهي كما يأتي:

القسم الأول: في تعريف بكنه قبيل عبد الواد وأوليته،

القسم الثاني، فقد خصصه في ذكر الملك الأول من بني عبد الواد.

القسم الثالث وقد خصصه لما حازه أمير المؤمنين مولانا أبو حمو من الشرف الشاهق الأطواد. وفيه ثلاثة أبواب:

- الباب الأول في ذكر سجايا وسيرة أبي حمو موسى.
- الباب الثاني في أوليته ومصير الملك إليه.
- الباب الثالث في ذكر ما حوته دولته الكريمة من حلّ وترحال وحرب وسلم وإبرام[93]

أما قيمة أثره التاريخي، فتأتي من خلال تركيزه على بني عبد الواد في تلمسان منذ قيامهم حتى سنة 777 هـ/ 1375 م، أي قبل وفاته بثلاث سنوات. وقد جمع فيه من المعلومات والمنجزات والحقائق التي تؤشر حياة تلك الدولة على المستوى الداخلي والخارجي.

ففي ميدان الحياة العلمية والثقافية لتلمسان، ترجم للعلماء الذين عاشوا في تلمسان أو ولدوا بها. فبلغ عدد تراجم العلماء 108 ترجمة[94].

[93] البغية، المصدر السابق، ج 1، ص. 5
[94] البغية، المصدر السابق، ج 1، ص.ص.23-75

المحاضرة (10) : مصادر تاريخ الدّولة المرينية بالمغرب الأقصى

دولة بني مرين في المغرب الأقصى (667 . 869هـ/1268. 1464م):

بعد صولات وجولات مع الموحدين استطاع المرينيون بقيادة أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق دخول مراكش عاصمة الموحدين والتخلص من آخر الأمراء الموحدين عام 667هـ/1269م، عرفت دولتهم أوجها السياسي أثناء عهدي أبي الحسن علي (1331-1352 م) ثم أبي عنان فارس (1352-1358 م) وازدهرت حركة فيها العمران. استطاع الأخير صد سلاطين عبد الواد (الزيانيون) والاستيلاء على عاصمتهم تلمسان، ثم واصل في غزواته حتى بلغ تونس واحتلها على حساب الحفصيين. كما قدم بنو مرين المساعدة لبني الأحمر في غرناطة ضد الأسبان وكانت علاقتهم مع المشرق العربي قائمة على المودة. وفي آخر عهدهم استولى البرتغاليون على مدينة سبته ثم ما لبثت دولتهم أن سقطت على أيدي الأشراف السعديين، سنة 869هـ/ 1464م.

مصادر الدولة المرينية

1. الذخيرة السنية لابن أبي زرع الفاسي.

المؤلف: هو **أبو الحسن علي بن عبد الله (أو ابن محمد) بن أحمد بن عمر ابن أَبي زَرْع الفاسي** (الوفاة 741 هـ / 1340 م) مؤرخ من أهل فاس. كان في زمن السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني، وله ألف (سنة 726) كتابه " الأنيس المطرب القرطاس، في أخبار ملوك المغرب وتاج مدينة فاس و" زهرة البستان في أخبار الزمان" لا يزال في حكم المفقود. ويرجح أن من تصنيفه كتاب " الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ".[95]

الكتاب : **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية** ، كتاب يؤرخ للمرينيين منذ دخولهم إلى المغرب ، يستهل الحديث بنسبهم و ينتهي في أيام الملك المريني أبي سعيد سنة 726 هـ [96] و لكن الكتاب في وضعه ينتهي بتأسيس مدينة فاس سنة 677 هـ و بحوادث تستمر إلى سنة 679 أيام أبي يوسف يعقوب المريني حيث يبدأ البتر و يقول الناشر للكتاب : هذا ما وجد من هذا الكتاب و الحمد لرب الأرباب. و إذا كانت أبواب الكتاب حسب تصميم مؤلفها عشرة فالموجود منها بالكتاب يقف بذكر حوادث الباب السادس أي أن الكتاب ينقصه ما يعادل نصفه و رغم ذلك فعدد صفحاته تصل إلى تسع و ثمانين و مائة 189 بغض النظر عن الفهارس اعتنى بنشره الشيخ محمد بن أبي شنب بالجزائر و طبع بها سنة 1339 موافق 1920 .

2. روضة النسرين إسماعيل بن الأحمر(725– 807هـ/ 1325– 1405م)

المؤلف: هو **أبو الوليد إسماعيل فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن نصر الخزرجي** المعروف بابن الأحمر مؤرخ و شاعر وأديب من أهل الأندلس ، ولد نحو سنة 725 بغرناطة، وغادرها مع أبيه–على الأكثر–إلى بجاية، ثم استقر بفاس.

[95] الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس تراجم ، دار العلم للملايين بيروت ط.7 - 1976، مج.4، ص.305-306
[96] بن أبي زرع الفاسي ، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، نشر أبن أبي شنب، طبع الجزائر 1920 ، ص 8

وكانت مغادرته في عهد الأمير يوسف(الأول 733-755هـ) ، ثم استقرّ في المغرب و قضى معظم حياته بمدينة فاس بعيدا عن غرناطة و كان سبب استقراره بالمغرب هو اضطراب دولة بنو الأحمر التي ينتمي إليها و خلافاتهم حول الملك فالتجأ أبوه إلى بني مرين في المغرب ، وعاش مع أولاده ، وبينهم إسماعيل، في كنف السلطان أبي الحسن المريني بفاس.[97]

ذكر في فهرسته العديد من الشيوخ الذين أخذ عنهم و الذين كانوا من المغرب ، أو من الأندلسيين المقيمين فيه أو في أثناء رحلاتهم إلى الشرق و عودتهم منه فمن شيوخه محمد بن محمد بن داود الصنهاجي ابن آجروم، و القاضي محمد بن أحمد الفشتالي و ممن أجازه من الأندلسيين أبو سعيد فرج بن لب التغلبي الغرناطي و أبو القاسم عبد الرحمن الأموي و غيرهم . استطاع إسماعيل ابن الأحمر بفضل ثقافته أن يرتبط بالسلطة إذ قربه السلطان أبو عنان المريني وجعله في جملة العلماء والأدباء والشعراء. توفي في مدينة فاس.

الكتاب:[98] **روضة النسرين في دولة بني مرين**، ذكره التنبكتي" روضة النسرين في أخبار بني عبد الواد وبني مرين"[99] يُعدُ من أشهر كتب ابن الأحمر وأكثرها ذيوعا ومعرفة لدى الباحثين المحدثين، نشر قسما من الكتاب الأستاذ الفقيه الغوث بوعلي والمستشرق الفرنسي جورج مارسي في الجزائر سنة 1917م ، وتمكن عبد الوهاب منصور من نشر الكتاب كاملا في الرباط سنة 1962م.

يذكر المؤلف نسب بني مرين ووضعهم في قبيلة زناتة، ويسجل المعلومات المتعلقة بأسماء ملوكهم وأبنائهم وبناتهم ووزرائهم وحجّابهم وكتّابهم وقضاتهم وفعل مثل ذلك في بني عبد الواد وذكر صراعهم مع إبراز تفوق بني مرين على خصومهم. ولا ينسى الكاتب كعادته أن يفخر بأسلافه من ملوك بني الأحمر. وقد انتهى من كتابته عام 807هـ، ولعله آخر مؤلفاته، لأنه توفي في العام المذكور.

أعتمد ابن الأحمر في تأليفه على المؤلفات التي سبقته وروايات بعض المعاصرين من أعلام عصره وذوي السلطة ومشاهداته الشخصية. يعتبر الكتاب ذا قيمة تاريخية خاصة ما تعلق بصفات السلاطين وتوليتهم للحكم ووفياتهم ويكشف عن طبيعة العلاقة العدائية بين بني مرين وأبناء عمومتهم بني عبد الواد

3. الاستقصا للناصري السلاوي (1835-1897)

المؤلف :**أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي الجعفري** مؤرخ مغربي، ولد بمدينة سلا، يوم 22 مارس 1835، ونشأ في إطار ثقافة دينية تقليدية، بانتسابه إلى الزاوية الناصرية.

أقبل الناصري منذ صغره على العلم و التعلم. فأخذ في قراءة القرآن منذ صباه ، فأتم القراءات السبع على شيخه عبد السلام بن طلحة، و حفظ المتون و أمهات الكتب ،كما درس الناصري علم التفسير و علوم الحديث و الرياضيات و الطبيعيات و كتب التاريخ و الجغرافيا.

---

[97] ابن الأحمر إسماعيل، نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، تح.محمد رضوان الدّاية، دار الثقافة بيروت 1967، ص.71.
[98] نفسه ، ص.ص 125-131
[99] التنبكتي أحمد بابا، نيل الأبتهاج بتطريز الديباج، تقديم ع.الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية طرابلس، ط.1 1989م، ج.1-2، ص.146.

انتدب الناصري من طرف السلطان المولى الحسن الأول في سلك موظفي الدولة في عدة وظائف سامية رغم امتناعه عنها خشية أن تصرفه عن التحصيل العلمي. لكن السلطان العلوي ألح على الناصري حتى قبل بالوظيفة العمومية، و تدرج فيها إلى أن بلغ مناصب سامية بسبب علمه و اجتهاده.انتقل إلى مدينة فاس و تعرف بعلمائها و أدبائها، ثم مدينة مراكش التي استغل مقامه بها لجمع المواد التاريخية لكتابه المشهور ": الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى".

لم يعمر الناصري طويلا، حيث توفي سنة 1897، عن عمر لا يزيد عن 62 سنة.

الكتاب: **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**: شرع المؤلف في جمع مواد كتابه الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى في سن الأربعين، لمدة ناهز تالعشرين سنة، إلى أن فرغ من تأليفه سنة 1894. طبع المؤلف كتابه بنفسه لأول مرة في مطبعة بولاق بالقاهرة سنة 1894، في أربعة أجزاء. و في 1954، تمت طبعة ثانية للكتاب، بمدينة الدار البيضاء ، وفي تسعة أجزاء.

يتناول الكتاب الدول التي مرت بالمغرب الأقصى، من لدن الفتح الإسلامي حتى آخر القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي.[100]

تصنف المواضيع الكبرى لكتاب الاستقصا كما سطرها الناصري على النحو التالي:

– الجزء الأول يتضمن تاريخ الفتح الإسلامي للمغرب وفترة ارتباط المغرب الأقصى بالخلافة بالمشرق، ثم قيام دولتي الأدارسة وزناتة. ويشمل ذلك الفترة الممتدة ما بين منتصف القرن السابع الميلادي إلى نهاية القرن العاشر الميلادي.

– الجزء الثاني خصص لتاريخ الدولتين المرابطية والموحدية، والتي يوافق عهدهما الحقبة الفاصلة بين بداية القرن الحادي عشر الميلادي ونهاية القرن الثالث عشر الميلادي.

– الجزء الثالث، يتناول تاريخ الدولة المرينية، منذ نهاية القرن الثالث عشر الميلادي حتى منتصف القرن الرابع عشر الميلادي.

– الجزء الرابع يتتبع تواريخ الدولة السعدية ما بين منتصف القرن الرابع عشر الميلادي حتى منتصف القرن السابع عشر الميلادي.

– الجزء الخامس وأخير يتناول تاريخ الدولة العلوية، منذ منتصف القرن السابع عشر الميلادي حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي.

أستفاد الناصري من اطلاعه على وثائق الخزانة المخزنية بمراكش وعلى الوثائق الرسمية الموضوعة بمدينة الجديدة. وتتبع وزار بقايا الآثار الموجودة بمراكش وفاس وسلا والرباط والجديدة... الخ، وأخذ من أصدقائه ومن الوزراء والكتاب والأعيان والأمناء ما يمس موضوعه، كما استعان بالرواية الشفهية وكاتب الناصري العديد من الشخصيات المغربية والأوربية.

ويمكن اعتبار كتاب الاستقصا من أوثق ما كتب عن تاريخ المغرب الأقصى الإسلامي، منذ بداية الفتح الإسلامي للمغرب حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وذلك من حيث كونه تأليفا تأريخيا استوغرافيا، أي جمعا لما جاءت به عدة مؤلفات سابقة ومعاصرة له. والكتاب يعد أيضا مرجعا رئيسيا للباحثين والمتخصصين حول تاريخ المغرب. وهو يجسم فكرة وممارسة لصاحبه أحمد بن خالد الناصري، حول تخصيص مؤلف خاص عن تاريخ المغرب الأقصى، لم يسبق إليه من قبل. وربما كانت تلك الفكرة تحمل في عمقها نظرة إيديولوجية معينة حول وحدة المغرب الأقصى وخصوصياته.

[100] أحمد الناصري،الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى دار الكتاب،الدار البيضاء،1997، الطبعة الجديدة، مج.1، ص58.

المحاضرة (11): مصادر تاريخ الدّولة الحفصية بالمغرب الأدنى (تونس)

تاريخ الدّولة الحفصية في تونس (625 . 982هـ/1228 . 1574م):

تنسب الدولة الحفصية إلى الشيخ أبي حفص عمر بن يحي من قبيلة هنتاتة الذي رافق محمد بن تومرت أثناء دعوته وأحد رجالات دولة الموحدية ففي سنة 603 هـ/ 1207 م ولى الموحدون على إفريقية أبو محمد بن عبد الواحد بن أبي حفص . ويُعد أبو زكريا يحي الحفصي(599 -647 هـ/ 1203 - 1249 م) المؤسس الحقيقي للدولة حين أعلن عام 1228 استقلاله عن الموحدين وإتخذ لنفسه لقب السلطان وجعل مدينة تونس عاصمة له ..شهدت الدولة بعد وفاة المستنصر عام 675هـ/ 1277 م عدة صراعات خلافة تخللتها عدة ثورات لقبائل جنوب البلاد، ولم تسترجع الدولة وحدتها إلا في في عهد أبو العباس أحمد وأبو فارس عبد العزيز اللذان شهدت البلاد في عهدهما ازدهار التجارة والملاحة.

منذ أواخر القرن الخامس عشر حالة من الركود والضعف وأصبحت منذ 1510 م عرضة لغارات الإسبان. كما دخلت الدولة الحفصية سنة 1535 م في صراعات خلافة ما دفع العثمانيين إلى التدخل وطرد الأسبان سنة 1574 م وجعلها تابعة لدولة الخلافة .

مصادر الدولة الحفصية

1. الأدلة البينة النورانية لأبن الشّمّاع :

المؤلف: **ابن الشَمّاع أو أبو عبد الله محمد بن أبي العبّاس أحمد بن محمد المرجاني الهنتاتي** مؤرخ للدولة الحفصية ، كان قاضي الأمحال في عهد السلطان أبي عمرو عثمان (839-894هـ/ 1435-1488م) ، واستفاد من قربه الحكم ليألف كتابه الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية بخزانة الحضرة العلية الإمامية المجاهدية المتوكلية عام 861 هـ/ 1457م[101] ، لم تتوفر أي معلومات عنه، ولم توجد له أية إشارة من مترجمي عصره ، كتب عنه روبار برنشفيك (Robert Brunschvig) في حوليات معهد الدراسات الشرقية الجزائر 35- 1934 دون إضافة تذكر [102] ولعله توفي بالوباء الواقع في زمن أبي عمر وعثمان الحفصي.

الكتاب: **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، يؤرخ للدولة الحفصية وسير سلاطينها حتى عصر أبو عمرو عثمان [103] ، ينقل عنه ان أبي دينار في "المؤنس" كما نقل عنه كتاب بلاد البربر الشرقية في عصر الحفصيين لبرانشفيك . يعتبر من مجموعة الكتب التي ألفت في القرن 9هـ/15م في مقدمها كتاب العبر لأبن خلدون إلا أن كتاب ابن الشَمّاع يتسم بالصبغة

[101] ابن الشَمّاع محمد بن أحمد، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح.الطاهر المعموري،الدر العربية للكتاب 1984، ص.19

[102] Brunschvig , Robert , Ibn as-Sammâ', historien hafside, Annales Institut Etudes orientales, Alger, 1934-35, pp. 193-212

[103] يتوقف تاريخ الدولة الحفصية في كتاب الأدلة النورانية عند السلطان أبو عمرو عثمان (839-893ه/1435-1488م) ما يجعلنا نعتقد أن أبن الشماع توفي قبل وفاة السلطان الحفصي.

التونسية كما أنه أخذ كثيرا عن كتاب ابن خلدون كما أستعمل مصادر أخرى وأهمل الكثير من الأحداث لأنه جُعل في خدمة السلطان الحفصي ، الكتاب عبارة عن استعراض تاريخي متسلسل لخفاء بني حفص وقصد به مقام ابي عمرو عثمان وهذا ما يوضح لنا أن ابن الشَمّاع مؤرخ عاش في كنف القصر يتنعم بخيراته. حققه ونشره المرحوم الأستاذ عثمان الكعاك، ط تونس سنة 1936 ثم أعاد تحقيقه الطاهر المعموري ونشرته الدار العربية للكتاب بتونس عام.1984 .

جاء الكتاب في شكل التراجم حيث يذكر مراحل حكم الحفصيين حسب ترتيب خلفائهم وكانت السيرة حسب مكانة ودور الخليفة فمنهم من ذكرهم في عدة صفحات وخصهم بفصول وبعضهم لم تتجاوز سيرته بضعة أسطر وصولا إلى أبو عمرو عثمان الذ أطنب في ذكر صفاته ومناقبه .

2. تاريخ إفريقية في العهد الحفصي لبرنشفيك .

المؤلف: **روبار برنشفيك** (**1901–1990**) من أبرز المستشرقين الفرنسيين ، درس اللغة العربية والحضارة الإسلامية في تونس ، أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية في جامعة بوردو (1947–1955) ثم مدير معهد الدراسات الإسلامية بجامعة السوربون (1963–1968) [104]، بتوجيه من وليام مارسي ركز أبحاثه المتعلقة بالتاريخ الإسلامي على الفترة الحفصية بتونس بالبحث في كل المصادر من وثائق رسمية ومصنفات مطبوعة أو مخطوطة ومستندات أثرية وقام بنشر بحوثه في المجلة التونسية وتوّج أعماله بإعداد أطروحته لنيل درجة الدكتوراه سنة 1939 تحت عنوان " بلاد الربر الشرقية في العهد الحفصي" من النشأة إلى نهاية القرن الخامس عشر تم نشرها في جزأين بإشراف معهد الدراسات الشرقية الجزائر [105] والذي نقله إلى العربية حمادي الساحلي سنة 1986 بعنوان " تاريخ إفريقية في العهد الحفصي"

الكتاب: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي (بلاد البربر الشرقية في عصر الحفصيين)** من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 م تناول جميع جوانب تاريخ الدولة الحفصية منذ نشأتها حتى نهاية القرن 15 م ،فقد سلط الأضواء على مختلف مظاهر الحياة الأقتصادية والأجتماعية والفكرية ، ووصف نظمهم ومؤسساتهم وعلاقاتهم الخارجية .

أعتمد المؤلف منهج الضبط والتحري والتدقيق في نقل الأخبار وتحليلها وتأويلها والإشارة إلى المصادر والمراجع المعتمدة منها التاريخية ككتاب العبر لأبن خلدون وتاريخ الدولتين للزركشي وكتب التراجم والسير والرحلات إضافة إلى الآثار المادية خاصة النقائش للكتابات التذكارية والجنائزية والسكة الحفصية ، كما أعتمد المؤلف على الوثائق الرسمية والمراسلات والمعاهدات المحفوظة لدى دول الجوار في إيطاليا وجزرها ...إلخ .

صدرت النسخة العربية من الكتاب في جزأين :

الجزء الأول أشتمل على أربعة أبواب ركز فيه المؤلف على الحياة السياسية

---

[104] Brunschvig, Robert (1901-1990), Portail Persée,fr

[105] روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من ق.13 إلى نها ق.15م، تعريب حمادي الساحلي،دار الغرب الإسلامي بيروت ، ط.1 - 1988، ج.1 ص.5.

– الباب الأول : نشأة الدولة الحفصية ودور أبو زكرياء وأبنه المستنصر في تحقيق الأنفصال عن الموحدين وبناء الدولة .

– الباب الثاني : مرحلة الفتن والصراعات الداخلية وحركات الإنفصال .

– الباب الثالث : الهيمنة المرينية وإستعادة الحكم المركزي وتوحيد البلاد.

– الباب الرابع: عودة الحكام الأقوياء ورد أعداء الخارج.

الجزء الثاني : أشتمل على ثلاثة أبواب ركز على الحياة الأجتماعية .

– الباب الخامس : الحياة الأجتماعية للمسلمين والقبائل .

– الباب السادس : المراكز العمرانية وأهم المدن .

– الباب السابع : خصصه لحياة أهل الذمة ودورهم في المجتمع التونسي .

3. الفارسيّة في مبادئ الدّولة الحفصيّة لابن القنفد القسنطيني(740-809هـ/ 1340-1406م)

المؤلف: هو **أحمد بن حسن بن علي بن حسن بن علي بن ميمون، أبو العباس**، الشهير بابن الخطيب وبابن قنفذ القسنطيني ، باحث في التراجم والتاريخ والحديث والفلك والفقه ، ألف في فنون شتى بعضها لم يُسبق إليها ، وسبب شهرته بابن الخطيب أن جده ووالده توليا الخطابة ، أما كنية ابن قنفذ فهي شهرة عائلته ولا نعلم لها سببا . ولد بمدينة قسنطينة وتعلم بها، ورحل إلى المغرب سنة 759هـ وأخذ عن علماء فاس، أقام بالمغرب 18عاما زار خلالها مراكش وسلا ودار إبن تومرت في هنتاتة و دُكالة التي ولي قضاءها سنة 769هـ وعمره إذ ذاك 29 عاما ، رجع إلى قسنطينة سنة 786هـ وتولى عدة خطط كالإفتاء والقضاء، وعكف على نشر العلم بالتدريس والتآليف إلى أن توفي.قال الزركشي:" وفي ليلة الجمعة الثانية عشرة لربيع الأولى من سنة تسع توفي قاضي قسنطينة أحمد بن الخطيب .... " وقيل توفي سنة 810 م

ترك ابن القنفذ العديد من المؤلفات في شتى العلوم والمعارف منها في التاريخ والتراجم والسيرة "الوفيات" يحتوي على تراجم قصيرة للعلماء وخصوصا المحدثين منهم مرتبة على القرون وعلى تواريخ وفياتهم و"الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية" في تاريخ بني حفص ألفه للأمير أبي فارس عبد العزيز[106] ، و"طبقات علماء قسنطينة" و"المسافة السنية في الرحلة العبدرية" وهو اختصار لرحلة العبدري، و"وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة و السلام " قال: "وهو من أجل الموضوعات" في السيرة لاختصاره".[107]

الكتاب: **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**" كتاب نفيس في أدب المناقب والتاريخ نشر لأول مرة سنة 1847م ، في طبعة حجرية أخرجتها مطبعة بنتو Bineteau بباريس في 132 صفحة وقد وقف عليها العلامة الجزائري محمد ابن أبي شنب وأشار إلى أنها نادرة وذلك سنة 1928 م، وقد سبق للمستشرق الفرنسي شربونو Charbonneau أستاذ العربية بمدينة قسنطينة

[106] أبو فارس عبد العزيز المتوكل من آخر عظماء السلاطين الحفصيين لقب بـالمتوكل على الله ، ولد بمدينة قسنطينة بالشرق الجزائري عام 762 هـ أو 763 هـ/ 1361م أو 1362 م هو سلطان حفصي حكم فيما بين عامي(1394 1434 م).أنظر: روبار برنشفيك ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، من ق. 13 إلى نها ق. 15، تع. حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1988 ، ج 1، ص 241-269

[107] عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية بيروت 1980، ص.268

مسقط رأس ابن القنفذ وبلده أن نشر اثنين وخمسين صفحة من مجموع مائة وثلاث وثلاثين صفحة من مخطوطة الاسكوريال، أي ما يزيد قليلا عن الثلث قسماً من هذا الكتاب مع الترجمة ومجموعة من التعاليق، وذلك في السلسلة الرابعة من المجلة الآسيوية الصادرة بباريس سنة 1848 م.

تناول فيه المؤلف تاريخ بني حفص والذي ألفه للأمير أبي فارس عبد العزيز الحفصي، المتولي لإمارة المؤمنين (796-839هـ/ 1394-1434م) قصد إلى غض الطرف عن كل ما يشين الدولة الحفصية وإلى إبرازمناقبها وخاصة منها ما أتصف به أبو فارس فهو من صنف " أدب حوليات السير" .

يقول برانشفيك : "أنه نموذج من الأدب التاريخي في العهد الحفصي تميز بالترتيب الزمني المحكم حتى أوائل سنة 806هـ قد أخذت عن معلومات وثائق الدولة وتقد تواريخ دقيقة ومعلومات عن أهم الحوادث السياسية وعن رجال الدولة وتحوي العديد من الإشارات المتعلقة بقسنطينة [108].

[108] روبار برنشفيك ، نفس المرجع، ج 2، ص 394-395.

المحاضرة (12)مصادر مسالك التّجارة العابرة للصّحراء الإفريقية في القرون الوسطى

التجارة الصحراوية خلال العصر الوسيط

على الرغم من عدوانية المجال الصحراوي ، فقد لعبت تلك المجموعات البشرية الواقعة على أطرافها دورا بالغ الأهمية في المبادلات التجارية بين ضفتيها الصحراء ، فمنذ اقدم العصور اتصلت افريقيا جنوبي الصحراء بحضارات العالم القديم المطلة علي حوض البحر المتوسط . وساهم شعوب شمال إفريقيا من الجيتول والغرامنت ثم الفينيقيون والأغريق و بعدهم الرومان

وقد خلف لنا هؤلاء كثيرا من المعلومات تعتبر من أقدم المصادر عن مسالك الصحراء والشعوب القاطنة جنوبيها خلال القرون الثلاثة الأولى من التاريخ الميلادي، بيد أننا نجهل الشيء الكثير عن ملامح وخصائص هذه المرحلة، باستثناء بعض التلميحات التي وردت عند ابن حوقل (ت. 988م)، ومفادها أن هناك تقاليد قديمة تحكم نظام القوافل التجارية الصحراوية، تعود لفترة ما قبل القرن 8 م.[109] غير أن العصر الذهبي لمصادر التّجارة العابرة للصّحراء الإفريقية يبدأ بدخول الإسلام في شمال إفريقيا حيث استقر المسلمون في المغرب العربي منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)

تعتبر كتب الرحلات والجغرافيا من المصادر التاريخية التي تشكل إطارا مرجعيا مهما، ومادة أساسية يستقي منها الباحث حول تجارة القوافل الكثير من المعطيات المفيدة التي يمكن أن يؤسس عليها فرضياته النظرية وبناءه التاريخي، لرسم صورة عن تاريخ العلاقات التجارية بين شواطيء الصحراء الكبرى ولاسيما في العصر الإسلامي.

أهم مصادر التّجارة العابرة للصّحراء الإفريقية

1. كتاب البلدان لليعقوبي (ت. 284 هـ/ 897 م)[110] :

المؤلف: **أبو العباس أحمد بن أبي يعقوب** ، الكاتب الأصفهاني الإخباري الشهير باليعقوبي ، ولد في بغداد وعاش فيها ثم هاجر إلى بلاد فارس وأطال المقام في بلاد أرمينية وكان فيها سنة 260 هـ، ودخل الهند أيضاً والأقطار العربية، فالشام فالمغرب إلى الأندلس، وحظي في مصر والمغرب باهتمام الدولة الطولونية

كان بحّاثة في التأريخ وأخبار البلدان في العصر العباسي الثاني. يعدّه الكثير من علماء الجغرافيا التالين لعصره أمثال ابن رستة وابن الفقيه والمسعودي الإصطخري وابن حوقل والمقدسي وغيرهم معلماً لهم . لا يُعلم تاريخ ولادته و أما وفاته فيبدو أنها كانت في سنة 284 هـ. له تآليف عدة منها :كتاب في فتوحات و إنجازات طاهر بن الحسن، جغرافيا الإمبراطورية البيزنطية ، تاريخ فتوحات أفريقيا، أخبار الأمم السالفة، المسالك و الممالك، ملوك الروم، مشاكلة الناس لزمانهم ، تاريخ اليعقوبي، البلدان.

الكتاب **البلدان** من أقدم المصادر الجغرافية العربية و أوثقها التي وصلتنا من أيام الخلافة الإسلامية ،انتهي من تأليفه في مصر عام (278 هـ / 891 م) طبع الكتاب أول مرة بعناية المستشرق الهولندي "دي خويه" في ليدن عام 1850م.

---

[109] ابن حوقل، أبو القاسم محمد البغدادي، صورة الأرض، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1979. ص 96.
[110] اليعقوبي، البلدان، علق عليه محمد أمين ضناوي،دار الكتب العلمية بيروت، د.ت.ط، ص.5

يتميز اليعقوبي بسعة آفاقه وإطلالته التاريخية على أسباب نشوء وتسمية البلدان ، والمدن ، والأمم وتاريخه ، و يذكر مشاهداته فيها و أيضا سؤاله أهلها عن بعض أمور فيها، ثم يورد رأيه فيما سمعه منهم هل كان منطقيا مقنعا أم هو محض خرافة تناقلها أهل ذلك المصر.

وفي معرض حديثه يعلّق على ذلك مشيرا إلى بعد رواية أهل ذلك الزمان عن المنطق و العقل ، وذكر من فتح البلاد من الخلفاء والأمراء ومبلغ خراجها .

وصف المؤلفُ الكثيرَ من البلدان كإيران وتركستان وأفغانستان والعراق ومصر وغيرها من بلدان آسيا وأفريقيا وصفا سلسا شيقا يميل إلى التحليل العقلي والمنطقي، وقد قسم المنطقة التي غطاها إلى أربعة أقسام حسب تقسيم الجهات الأصلية.

استفاد اليعقوبي من تجواله في شمال إفريقيا وبخاصة في ظل الدولة الرسمية التي كانت تسيطر علي أغلب محطات الطرق الواقعة شمالي الصحراء فجمع بذلك معلومات قيمة ضمنها كتابه البلدان.

يعتبر اليعقوبي أول جغرافي عربي أمدنا بمعلومات مباشرة عن الطرق الصحراوية فأشار إلي طريق الذهب من سجلماسة إلي مملكة غانة عبر المنطقة الغربية من الصحراء الكبري كما تناول ايضا الطريق الشرقي من فزان عبر كوار جنوبا الي حوض بحيرة شاد ، ووضح نشاط الأباضية التجاري علي هذا الطريق من مركزهم الصحراوي (مدينة زويلة) واشار إلي الأمم الافريقية التي ارتبطت عبره

وأضاف اليعقوبي في كتابة التاريخ معلومات عن الممالك الإفريقية جنوبي الصحراء فتحدث عن غانة واتساعها وجعل مملكة كانم ومملكة مالي ومملكة كوكو من أعظم ممالك السودان في ذلك العهد.

2. كتاب صورة الأرض لابن حوقل (ت. 367 هـ/ 977 م)

المؤلف : **أبو القاسم محمد بن حوقل** أو **محمد بن علي النصيبي** ولد في نصيبين في شمال شرق الجزيرة الفراتية شمال العراق ضمن الحدود التركية اليوم . كاتب وجغرافي ومؤرخ ورحالة وتاجر عربي[7] مسلم من القرن العاشر للميلاد .

قام برحلةٍ طويلة في العالَم الإسلامي استغرقت ثلاثين عاماً لدراسة الممالِك والبُلْدان الإسلامية، ولتأليف كتاب يُسَجِّلُ فيه مشاهدتِه ودراستِه، وهو كتاب "صورةُ الأرض" أو "المسَالك والممالِك" بدأت رحلات ابن حوقل في عام 331هـ / 943م؛ فقد غادر بغداد إلى المغرب، وصقلية، كما طاف بلاد الأندلس أثناء ازدهار العهد الأمويّ وأستقر بها مدّة طويلة أثناء خلافة الخليفة الناصر(عبدالرحمن الثالث) (300-350هـ/912-961 م) فوصفها بدقّة كبيرة .

الكتاب : **صورة الأرض و يعرف أيضا باسم المسالك والممالك و المفاوز والمهالك** [111] الذي يعد من أشهر أعماله وأهداه لزعيم الدولة الحمدانية في الشام سيف الدولة الحمداني.

تحدث ابن حوقل عن سبب تأليفه لهذا الكتاب قائلًا" :إن الغرض في كتابي هذا تصوير هذه الأقاليم التي لم يذكرها أحد علمته ممن شاهدها، فأما ذكر مدنها وجبالها وأنهارها وبحارها والمسافات فيها، و بعض ما أنا ذاكره فقد يوجد في الأخبار متفرقًا، ولا يتعذر على من أراد تقصي شيء من ذلك من سافرة أهل كل بلد، وإن كانت المتعصبة للبلدان والقبائل جارية على خلاف م توخيته، وشرعت فيه ورسمته من قصدها لحقائقها، وإيرادها على ما هي عليه من طرائقها " [112]

قد اورد ابن جوقل في كتابه ما يلي (وقد حررت ذكر المسافات واستوفيت صور المدن وسائر ما وجب ذكره..، وسائر ما يكون عليه أشكال

[111] ابن حوقل، أبو القاسم محمد البغدادي، صورة الأرض، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1979ص.1
[112] ابن حوقل نفسه، ص.4

تلك الصورة والعمل وموقع كل مدينة من مدينة تجاورها، وموضعها من شمالها وجنوبها، وكونها بالمرتبة من شرقها وغربها ليكتفي الناظر ببيان موقع كل إقليم وموضعه ومكانه، وما توخيته من ترتيبه وأشكاله وقصصه من أحواله وأخباره..، وقد فصلت بلاد الإسلام إقليماً إقليماً وصقعاً صقعاً و كورة كورة)[113]

يعتبر ابن حوقل من أشهر الجغرافيين الذين تناولوا مسالك الصحراء فترك لنا معلومات قيمة في كتابه صورة الأرض الذي جمع مادته في إفريقيا أثناء تجواله واشتغاله بالتجارة ، فقد طاف في بلاد المغرب حتي درعة مابين عامي 336- 340هـ /947 – 951م ودخل الصحراء الكبرى حتى أودغست فكان بذلك أول جغرافي عربي يصل إلى تلك المناطق، وقف ابن حوقل علي احوال المنطقة فجاءت معلوماته دقيقة عن الجزء الغربي من الصحراء الكبري ويبدو من خلال وصفه أن النشاط التجاري ربط المنطقة كلها ربطا تاما مابين سجلماسة واودغست غربا حتي زويلة شرقا وبين ارتباط سلع المنطقة بتجارة حوض البحر المتوسط[114].

غير أن معلومات ابن حوقل عن الطريق الغربي من سجلماسة إلي غانة جاءت قليلة و معلوماته عن ممالك إفريقيا جنوب الصحراء مختصرة جدا حتي بالنسبة لمملكة غانة التي كانت علي بعد مراحل قليلة من أودغست خاصة ,انما كانت مثار اهتمام عالم حوض البحر المتوسط لاعتماده الكبير على الذهب الذي تصدره وقد أشار ابن حوقل فقط إلي مراكز جنوبي الصحراء مبينا المسافات بينها وبين غانا شرقا حتي كوكو شرقا حتي فكوار فمصر.

تميز اسلوب ابن حوقل بالأسلوب العلمي وتحليلي وتدوين كل ملاحظات التي يمكن ان تلزم لتعرف على اي ارض زارها فكان يدرس الجانب الزراعي والاقتصادي والسياسي وحتى تاريخي الى جانب الجغرافية ويرسم صورة عامة لمكان الذي يريد وصفه بدقة متناهية ولهذا قيل عن ابن حوقل (إذ قرأ ما سبقه وعاصره من كتب الجغرافيا، وشغف بهذا العلم، صمم على أن يضع فيه كتاباً كبيراً لا يأخذه من أفواه الناس ولا مما قرأه، وإنما يأخذه عن عينه ومشاهداته في العالم الإسلامي)

3. كتاب المسالك والممالك للبكري (ت 487 هـ = 1094 م):

المؤلف : هو **عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي**،المشهور بأبو عبيد ، نسبته إلى بكر بن وائل. من بيت إمارة . ولد في شلطيش (غربي إشبيلية) وانتقل إلى قرطبة و يعتقد أن ولادته حوالي 400هـ/1010م وأنه عندما غادر إشبيلية إلى قرطبة كان في سن 37 أو 38 عاما[115]، ثم صار إلى ألمرية، فاصطفاه صاحبها (محمد بن معن) لصحبته، ووسع راتبه، وهذا ما حمل بعض المؤرخين على نعته بالوزير. ... ثم استقر به الحال سنة (483هـ/1090- 1091م) في قرطبة التي أصبحت عاصمة الأندلس بعد دخول المرابطين لها، والراجح أنه قضى بها بقية حياته، وبها توفي في شوال 487هـ/ 1094م، ودفن بمقبرة أم سلامة[116].

يعتبر أبو عبيد البكري مؤرخ ثقة. علامة بالأدب، له معرفة بالنبات من ألمع جغرافيي الأندلس،اتسم عمله بالموضوعية والانسيابية والمنهج العلمي الصارم، ومما لا شك فيه أن كتاب المسالك والممالك كانت له المساهمة الكبرى في شُهرة البكري، فقد جمع فيه بين الجغرافيا و التاريخ، من المسالك وصف البلدان والشعوب والمدن وتمتزج بالملح والأساطير والاستطرادات التاريخية

[113] ابن حوقل المصدر السابق،ص.5.
[114] نفسه ،ص.93.
[115] البكري أبو عبيد ، المسالك والممالك ، تح. أدريان فان و أندري فيري دار الغرب الإسلامي 1992م ،ص.9.
[116] البكري ،نفسه، (مقدمة سعد غراب) ، ،ص.11.

ترك البكري للمكتبة العربية تراثاً قيّماً انتهى إلينا بعضه وطوى الدَّهْرُ بعضَه الآخر فيما طوى من ذخائر، وهو ينمُّ على معرفة واسعة وإحاطة بارعة باللغة والشعر والتاريخ والجغرافية والأنساب، ومن أشهرها: " الإحصاء لطبقات الشعراء " و" اشتقاق الأسماء " و" أعلام نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم " و"التدريب والتهذيب في ضروب أحوال الحروب"و"اللآلئ في شرح أمالي القالي" وهو أكبر مؤلفاته في ميدان اللغة والأدب و" التنبيه على أغلاط أبي علي القالي في أماليه " و " شفاء عليل العربية " و «أعيان النبات» ، و" المسالك والممالك"غير كامل، طبع جزء منه باسم «المغرب في ذكر إفريقية والمغرب» وقطع خاصة بالروس والصقلب ؛" معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع" .

وأبو عبيد البكري ممن كانوا يعتنون بكتبهم، فقد كان يكتبها بالخط الجيد، ويجلدها التجليد النفيس، وكان الملوك يتهادونها في حياته ويتنافسون في اقتنائها.[117]

الكتاب "**المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب** "الذي انتهى من تأليفه عام 360 هـ/ 1067م و هو جزء من كتاب المسالك والممالك ، جمع بين الجغرافيا و التاريخ، تحدّث عن البلدان والممالك اعتمادًا على المصادر المؤلّفة من قِبَل المؤرخين السابقين له في هذا المجال، إذ عرض العادات والتقاليد لعدد من الشعوب في مناطق مختلفة من العالم، إضافة إلى ذكره للقصص تاريخية وغرائب وعجائب، مع رفضه لنقل أي شيء يتنافى مع العقل والمنطق في كتاباته، إذ بدأ كتابه بمقدّمة تاريخية مبهرة، ويعد كتاب المسالك والممالك من أهم المصادر التاريخية لوصف إمبراطورية غانا الإسلامية بالتفصيل، وجنوب غرب أفريقيا وشمال غربها أيضًا، ونظرًا لحصوله على الكثير من المعلومات من التجّار والمسافرين، فقد قدّم وصفًا دقيقًا لطرق التجارة وكيفية سير العملية التجارية.

قدم البكري في كتابه هذا أول وصف مفصل لإمبراطورية غانا الإسلامية في غرب أفريقيا وتجارتها وأحوال سكانها ونظام الحكم فيها وعلاقاتها عبر الصحراء ، ونظرا لاستقائه الكثير من المعلومات من التجار و المسافرين، فقد قدم وصفا دقيقا لطرق التجارة في الصحراء الكبرى وغرب إفريقيا فتناول الطرق بمراحلها وأماكن وجود المياه والمخاطر التي تواجه القوافل وأورد تفاصيل وافية عن دور المراكز التجارية في النشاط التجاري ولكن يلاحظ علي كتابة البكري أن المعلومات تقل بصورة واضحة فيها كلما اتجه من غرب افريقيا شرقا نحو انحناءة نهر النيجر الوسطى وحوض بحيرة تشاد ،وربما كان السبب في ذلك هو مصادره التي تركزت معلوماتها علي الجزء الغربي من المنطقة ، فقد اعتمدت معلوماته علي التجار الذين ارتبطوا في عصر المرابطين خاصة في الفترة الأولي من قيام الدولة ارتباطا قويا بين حوض نهر السنغال الأندلس حيث ألف البكري في ذلك الوقت كتابه بالإضافة إلي الوثائق الرسمية التي توفرت في الأندلس في ذلك الوقت عن غرب إفريقيا

4. كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي (ت. 560هـ/1164م):

المؤلف : هو **أبو عبد الله محمد بن محمد ابن عبد الله بن إدريس الصقلي**، المعروف بالشريف الإدريسي، عالم مغربي **من** أحد كبار الجغرافيين العرب المسلمين، **و**من أبرز مؤلفي القرن6هـ/12م، اشتهر بكتاباته في الجغرافيا والنبات والفلك والطب والفلسفة والأدب.ولد في سبتة شمال المغرب عام 493 هـ/ 1100م[118]، تلقى تعليمه في قرطبة الأندلسية ولذا يسمى أحياناً بالقرطبي، وطاف البلاد فوصل مصر والحجاز في الشرق، والبرتغال وفرنسا وإنجلترا في الغرب، والقسطنطينية في الشمال. عاش الإدريسي في صقلية فترة من الزمن ونزل ضيفاً على

[117] البكري، المصدر السابق ،(مقدمة المحقق ص.ز) تح.جمال طلبة، دار الكتب العلمية بيروت ، ط.1 2002،
[118] عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم ، دار الفكر دمشق 1995 م، ص 388.

ملكها روجر الثاني الذي أغدق عليه الأموال لإنجاز العديد من المؤلفات الرائدة، ثم عاد إلى بلده سبته إذ بها وافته المنية سنة 560هـ/1166م[119].

الكتاب: " **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**"، ألفه الإدريسي في صقلية بناء على طلب ملكها. وقد اكتسب هذا المؤلف شهرة عظيمة لما احتواه من معلومات موسوعية عن الكثير من الأماكن في الشرق والغرب التي ذكرها الأقدمون مضيفاً إليها معلومات ميدانية رآها ورصدها الإدريسي في رحلاته وأسفاره التي اخترقت الآفاق. ويتضمن هذا المؤلف أكثر من 70 خارطة للعالم ولمناطق محددة منه. وقد ظل هذا الكتاب مرجعاً للعلماء الأوروبيين وغير الأوربيين لمدة تزيد على الثلاثمائة عام حتى القرن 16م، ولهذا يعد هذا الكتاب كما تشير دائرة المعارف الفرنسية، أعظم وثيقة جغرافية في القرون الوسطى. وقد ترجم الكتاب إلى عدة لغات أوربية. ونسب هذا الكتاب عند الأوروبيين إلى روجر و لذا يقال له (الكتاب الرُوجاري).

ألف الإدريسي كتابه في خمسة عشر عاما، وأتمه سنة 548هـ،[120] استهله بمقدمة في ذكر هيئة الأرض، وقسمها إلى سبعة أقاليم، وما يهمنا في هذا المقام هو الإقليم الأول، وهو موطنه وانطلاق رحلته، وهي القارة الإفريقية، وقد طبع مأخوذا من الكتاب المذكور، وعُنون بـ :**المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس**[121]، كما نُشر هذا القسم بعنوان" **أنس المُهج وروض الفُرج** " قسم شمال إفريقيا وبلاد السودان[122]،وقد قسم هذا الإقليم الأول إلى خمسة أجزاء، آخرها أرض الحبشة.

أورد الإدريسي في الكتاب الأول "صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس" معلومات قيمة وتفاصيل دقيقة عن ممالك إفريقيا جنوب الصحراء وساكنيها، وحياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وما تزخر بها من موارد طبيعية،والمراكز والمسافات بينها في الاقاليم بصورة واضحة تساعد علي تحديد مواقعها ويصف أرضها بأنها رمال تنسفها الرياح وتنقلها من مكان إلى مكان، فلا يوجد بها شيء من الماء، وهذه البلاد كثيرة الحر حامية جداً،وتناول الطرق الصحراوية عبر جميع مناطق الصحراء وأفاض الحديث عن النشاط التجاري ووصف القوافل وأعدادها والسلع التي تنقلها في ذهابها وإيابها بتفصيل دقيق لم يسبقه إليه احد ممن وصلتنا اعمالهم . ويعتبر الإدريسي أول من أمدنا بمعلومات وافية عن الجزء الأوسط من الصحراء الكبري بخلاف المؤلفات السابقة والتي ركزت علي الصحراء الغربية حيث الطريق المباشر الي الذهب في اعالي نهري السنغال والنيجر

استفاد الإدريسي من معلومات الجغرافيين السابقين منذ القرن الثالث الهجري كما اعتمد علي مصادره الخاصة فيما يتعلق بجنوبي الصحراء الكبري والتي اشار إليها كثيرا مثل احد التجار الثقاة الذي تجول في السودان نحو عشرين عام[123].

5. كتاب "وصف إفريقيا" لليون الإفريقي (ت. 957هـ/1550 م)[124]:

[119] الزركلي، الأعلام ، ج.7، دارالعلم للملايين، ط.5، 1980، ص.24.
[120] الإدريسي محمد بن عبد الله، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، مج.1،مكتبة الثقافة الدينية القاهرة 2002، ص.7
[121] الإدريسي محمد بن عبد الله، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس،مطبعة بريل ، ليدن 1863.
[122] الإدريسي محمد بن عبد الله، انس المهج و روض الفرج، تح.الوافي نوحي، الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2007
[123] الإدريسي ، نفس المصدر،ص.27
[124] الوزان الحسن بن محمد، وصف افريقيا ، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، ترجمة المؤلف من مقدمة المترجم ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط.2- 1983.

المؤلف: هو **الحسن بن محمد الوزان الغرناطي الفاسي الزيّاتي** المعروف بليون الإفريقي، جغرافي، رحّالة، مؤرخ، عارف بالطب، هاجر مع أسرته إلى فاس إثر سقوط غرناطة سنة 897هـ/ 1492 م وهو لا يزال طفلاً ابن ثلاث سنين ، وقد كان من أسرة كثيرة الرحلات، فقد صحب أباه وهو صغير إلى عديد من الدول، واكتسب تجربة واسعة في العلاقات الدبلوماسية، بفضل هذه التجربة التي راكمها قربه منه سلطان فاس آنذاك محمد بن محمد الشيخ بن أبي زكرياء الوطاسي المتوفي سنة 932هـ/1525م[125]، ثاني الذي أسند إليه مهام الدولة في حقبة حرجة عرفتها المنطقة، وفي سنة 926هـ/ 1520م أثناء عودته من البلاد الليبية والتونسية إلى المغرب بحرا أسره قراصنة إيطاليون فسلموه إلى البابا ليون العاشر، فحمل اسمه، ولقبوه كذلك بيوحنا الأسد الغرناطي أو الأفريقي وقد قضى زهاء ثلاثين سنة في إيطاليا يدرس اللغة العربية، وفي سنة 957هـ/1550م رجع إلى تونس، حيث توفي .

الكتاب **وصف افريقيا** كانت بدايته حين رحل حسن الوزان وهو ابن ستة عشر عاماً إلى إفريقيا، صحبة عمه الذي كان مكلفا عام 917هـ بسفارة بين ملك فاس محمد الوطاسي البرتغالي وملك سنغاي محمد أسكيا الكبير (899-936هـ/ 1493-1529م) [126]، إلى مدينة تمبكتو، وقد سلكوا في ذهابهم الطريق الغربي عبر مراكش ودرعة، وفي الرجوع أخذوا طريق سجلماسة- فاس. و بها بدأ الكتابة ووضع الملاحظات والتوصيفات المعنية بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية، والسياسية، والأنتروبولوجية إذ تعمق في دراسة الأعراق، والأنساب، وأصول القبائل والعشائر الإفريقية، ورسم المواقع والأمكنة ذات الأهمية والاعتبار، وعاين مجاري المياه والأنهر، وحدّد النقاط التي تمرّ بها وأثرها في حياة الناس. وقد وقع في أغلاط عدة منها قوله إن نهر النيجر يسير نحو الغرب إلى المحيط، كما وصف الحروب التي كانت فاشية في إفريقيا آنذاك خصوصاً حروب القبائل المالية نسبة إلى مالي.

قام الوزان برحلات أخرى إلى مالي وبلاد الهَوسا فالسودان الغربي، ومن خلال اطلاعه ومشاهداته دوّن طبائع الناس الذين كان يلتقيهم، وقد عرف بأنه ذو مقدرة خاصة على كسب ثقة الآخرين به وإقناعهم بمعلوماته ومعارفه. و نتيجة لكثرة أسفاره شاعت شهرته بين الناس والأمراء وأصحاب الممالك، فسماه بعضهم سفيراً لبلاده و لاسيما أن أسفاره اتجهت نحو الشرق، فزار مصر، والشام، وإيران، والجزيرة العربية، وتركيا، وأرمينيا، وبذلك اشتهر بأنه واحد من أهم الرحالة العالميين.

تلك كانت بعض الأحداث التي تحدث عنها حسن الوزان في اتجاهه إلى إفريقيا جنوب الصحراء تظهر مدى تجواله في هذه البلاد الشاسعة، فدوَّن رحلاته وعنونها بـ :**وصف افريقيا**، ألف الكتاب بالعربية، ثم ترجمه إلى الإيطالية أتمه عام 933هـ، وقد اعتمد في كتابه على ما علق بذهنه أثناء زيارته عام 917 هـ ، وهذا الكتاب هو القسم الثالث من كتابه الكبير الجغرافيا العامة.

ختاما إن هذه الرحلات وغيرها أسهمت في إثراء الخزينة المعرفية للقارة الإفريقية، فأصبحت مصادر لعديد من الدارسين والمهتمين بالشأن الإفريقي، وهنا نلحظ الدور الكبير الذي قام بها المغاربة في توثيق تاريخ وجغرافية إفريقيا .

[125] للزركلي الأعلام ، دار العلم للملايين ،ط.15- 2002، ج.7 ص.56.
[126] التنبكتي محمود كعت ، تاريخ الفتّاش في ذكر أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، تع.آدم بمبا، مؤسسة الرسالة ناشرون،ط.1 ،2014 م، ص.91.

المحاضرة (13)مصادر مسالك الرّحلات العلمية والحج نحو المشرق

أدب الرحلات :

لأدب الرحلات مكانة عالية بين التَّصانيف المختلفة، وما ذاك إلاَّ لما يحويه هذا التَّأليف من فوائد يندر اجتماعها في موضع آخر، ولذلك تجد إقبالاً من أهل غالب الفنون، فلكتب الرَّحلات عناية بالشُّؤون الدِّينية الخاصَّة بطريق الرّحلة، واهتمام بالأوضاع الاجتماعية، والسِّياسية، والاقتصادية، والعلمية، لقاطني الدِّيار التي يمرُّ بها الرّحالة، وفيها احتفال بالغرائب والعجائب، وحرص على ملاقاة مَنْ يستحق اللقاء من العلماء والأدباء، وإلمام بتاريخ المدن وأسماء البلدان وأخبارها، إضافةً إلى أنَّ طابعها يتَّسم بالإمتاع والمؤانسة، وما أجمل رفقة كتب الرَّحلات إبَّان السَّفر، أو حين انشغال الذِّهن؛ ففيها ترويح آمن، ومعلومات لطيفة لا تجلب الملل للنَّاظر فيها.

تعد رحلات الحج التي دونها الكثير من العلماء والأدباء والمؤرخين والرحالة، الذين قصدوا الديار المقدسة لتأدية الركن الخامس من أركان الإسلام، سفرا خالدا وسجلا ثقافيا لخدمة الأدب والتاريخ. وعلى مدى القرون الماضية قام عدد من الرحالة بتأدية فريضة الحج من خلال رحلات متباينة على مدى الألف سنة الماضية، وحظيت هذه الرحلات بعناية خاصة من قبل أصحابها، ودار حولها الكثير من المؤلفات، وقد ألَّف بعض العلماء والأدباء والبلدانيين والمؤرخين والمستشرقين كتباً عن رحلاتهم إلى الحج، فبعضها كتاب خاصٌّ عن رحلة الحج فقط، وبعضها كتاب رحلة عامَّة ضمَّنها مؤلفها حديثاً عن رحلته إلى الحج و الحجاز.

وقد عُرِفَ الأندلسيّون والمغاربة بالولوع بالرحلة منذ القديم, وأوردت كتب التراجم والسِّير والتاريخ أسماء عدد كثير منهم, وذكر المقّريّ في كتابه "نفح الطيب" ما ينيف على ثلاث مئة راحلٍ في طلب العلم إلى المشرق فقط, وصرّح بقصوره عن استيعاب أسماء الذين رحلوا جميعهم [127].

وكان أغلب هؤلاء يشدّون الرحال لأداء فريضة الحجّ بالدرجة الأولى, ولزيارة الأماكن المقدّسة في المشرق, وكثيرا ما كانت الرحلة تقترن بطلب العلم, ولقاء العلماء والأخذ عنهم, وفي كثير من الأحيان يجمعُ الرحّالة بين الأمور الثلاثة [128].

ويلاحظ أنّ معظم الرحلات تتّجه من الغرب إلى الشرق, ولعلّ ذلك عائد إلى عوامل عدة, منها:

أ – وجود الأماكن المقدّسة في المشرق, وثمّة مهد الحضارة ومهبط الوحي.

ب– كثرة المركز الثقافية هناك, وتوافر أعدادٍ كثيرة من العلماء المشهورين الذين كانوا مقصدا لطلاب العلم من كل البقاع, ولما كانت تحتويه المدن المشرقيّة من مكتبات ومدارس عامرة بالكتب الجليلة والمصنفات العلمية النفيسة.

من الرَّحلات المهمة في هذا الباب :

1. كتاب رحلة ابن جبير الأندلسي(ت. سنة 614 هـ)

المؤلف : **محمد بن أحمد بن جبير** وكنيته أبو الحسن ، ولد بمدينة بلنسية بالأندلس عام 540 هـ ، ينحدر من أسرة عربية عريقة سكنت الأندلس عام 123هـ ، قادمة من المشرق مع القائد المشهور بَلْج بن بشر بن عياض ، آتم ابن جبير دراسته بعد أن أتم حفظه للقرآن الكريم

[127] أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مج.2، دار صادر بيروت 1968،ص.5.
[128] ألبير حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس ،المكتبة العصرية صيدا *بيروت، 1967، ص54.

بمدينة بلنسية على يد أبي الحسن بن أبي العيش، وفي شاطبة درس ابن جبير علوم الدين على يد أبيه وشغف بها لكن ميوله برزت أيضا في علم الحساب، وفي العلوم اللغوية والأدبية ، وأظهر مواهب شعرية ونثرية رشحته للعمل كاتبا لحاكم غرناطة وقتذاك أبي سعيد عثمان بن عبد المؤمن ، أمير الموحدين . فسكن غرناطة، وذاع صيته لبراعته اللغوية والأدبية، ولما استدعاه الأمير أبو سعيد، وطلب منه أن يكتب عنه كتابا وهو يشرب الخمر في مجلسه، أرغم ابن جبير على شرب سبعة كؤوس من الخمر، وأعطاه سبعة أقداح دنانير، وصمم ابن جبير على القيام برحلة الحج بتلك الدنانير تكفيرا عن خطيئته [129].

خلف ابن جبير مصنفات قليلة تميز فيها أسلوبه بالكثير من الحيوية وسهولة التعبير منها ديوان شعر يسمى ''نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان''، وبعض القصائد والأشعار المبعثرة في كتب ''الإحاطة'' و''نفح الطيب'' و''الذيل والتكملة''، وله ديوان مفقود عرف باسم ''وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح'' ، كما ترك لنا كتابه عن رحلته الأولى إلى المشرق وتعرف بـ''رحلة ابن جبير''، وتعد من أهم المؤلفات في أدب الرحلات.[130]

توفي الرحالة ابن جبير في الإسكندرية سنة 614 هـ ، عن عمر يناهز الرابعة و السبعين عاماً.

الكتاب : **تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار** المعروف بـ " **رحلة ابن جبير**" هي عبارة عن ثلاث رحلات قام بها ابن جبير إلى المشرق.

الرحلة الأولى: بدأها من غرناطة سنة 579هـ وعاد إليها سنة 581 هـ، أي أن الرحلة الأولى استغرقت سنتين سجل فيها مشاهداته وملاحظاته بعين فاحصة في يومياته المعروفة برحلة ابن جبير.

الرحلة الثانية: شرع فيها في أوائل ربيع الأول سنة 585هـ وانتهى منها سنة 586 هـ، ودفعه إليها أنباء إسترداد بيت المقدس من الصليبيين من قبل السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة 583هـ.

الرحلة الثالثة: كانت بسبب حزنه على وفاة زوجته ، فقام برحلة ثالثة يُرَوِّح بها عن نفسه ، فخرج من سبتة إلى مكة وبقي فيها فترة من الزمن ثم غادرها إلى بيت المقدس والقاهرة والإسكندرية، حيث توفي فيها سنة 614هـ.

لم يترك من ذكرها إلا حديثه عن رحلته الأولى التي كتبها في شكل مذكرات يومية، مع كل مشهد وكل بلدة مر بها باليوم والشهر، فكانت أوراقًا منفصلة جمعها أحد تلاميذه، ونشرها في كتاب باسم: "تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار"، والتي عرفت "رحلة ابن جبير"، لذا صار هذا الكتاب من أهم المصادر الرئيسة للباحثين في كل من التاريخ والجغرافيا والأدب.

حج ابن جبير الأندلسي عام 578 هجرية متوجها من غرناطة إلى جدة. وهو يقص رحلته وحجه إلى بيت الله الحرام، ويصف لنا مشاهد كثيرة، ويرسم الطريق إلى مكة ، رسما بارعا، وتصويرا دقيقا، متقصيا أحوالها من جميع جهاتها ، وسجل كل ما شاهده و كابده في أسفاره، واهتم بذكر التاريخ الذي زار فيه كل مدينة أو مكان، مر به بطريق البحر أو البر. كما ذكر المسافات التي تفصل بين تلك الأماكن مقدرة بالأميال أو الفراسخ. وأشار إلى صعوبة وأخطار بلوغ مكة المكرمة في ذلك الوقت [أواخر القرن السادس الهجري]؛

[129] الرحالة الأديب ابن جبير الأندلسي ـ موقع مقالات إسلام ويب نسخة محفوظة 24 يونيو 2012 على موقع واي باك مشين.
[130] رحلات ابن جبير وثائق تاريخية وجغرافية في لغة أدبية ، جريدة الاتحاد نسخة محفوظة 25 أكتوبر 2015 على موقع واي باك مشين.

مثل قوله ''والركوب إليها من جُدة آفة للحجاج عظيمة إلا الأقل منهم ممن يسلمه الله عز وجل، وذلك أن الرياح تُلقيهم على الأكثر في مراسٍ بصحارى تبعد منها مما يلي الجنوب؛ وربما كان من الحجاج من يتعسّف تلك المجهلة على قدميه فيضلّ ويهلك عطشاً [131] و أفاض في وصف الكعبة والحرم والآثار، كما وصف موضع الطواف بأنه «مفروش بحجارة مبسوطة كالرخام حسنا، أما سائر الحرم فهو مفروش بالرمل الأبيض، وطواف النساء في آخر الحجارة المفروشة[132] « كما وصف حجر إسماعيل فذكر مساحاته وأقيسته، وموضع قبة زمزم والبئر في وسطها ، و قدر عمقها بإحدى عشرة قامة "حسبما ذرع ابن جبير بنفسه" [133] . ووصف حال مصر في عهد صلاح الدين ومدحه لإبطاله المكس'' الضريبة'' المترتبة على الحجاج [134]، ووصف المسجد الأقصى والجامع الأموي بدمشق والساعة العجيبة التي كانت فيه، وهي من صنع رضوان بن الساعاتي[135]، وانتقد كثيرا من الأحوال، ومن أهم مشاهداته ما تحدث به عن صقلية و آثارها، من مساجد ومدارس و قصور، وعن الحضارة التي خلفها العرب في الجزيرة.

2. كتاب رحلة ابن بطوطة (ت 779هـ/ 1377م)[136]

المؤلف **مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ ٱللَّوَاتِي ٱلطَّنْجِي** المعروف بابْنِ بَطُّوطَةَ، ولد بطنجة في (703- 779 هـ/ 1304- 1377 م) هو رحالة ومؤرخ وقاض من قبيلة لواتة، [2] وبسببِ شُهرتِه العالميةِ لقَّبته «جمعيةُ كامبريدج» بـ «أميرِ الرحَّالةِ المسلمِين» تسمّى باسم أمه **بطوطة** فصارت شهرته "ابن بطّوطة " [137]، قضى 28 سنه فى السفر و الرحلات. كانت رحلته الاولى للحج سنة 725 هـ/1325م عن طريق بلاد المغرب ومصر ثم أنتقل إلى الشام فالحجاز والعراق وبلاد فارس وتركستان وما وراء النهر وبعض الهند والصين وجاوة وبلاد التتار. إتصل بكثير من الملوك والأمراء فمدحهم – وكان ينظم الشعر– واستعان بهباتهم على أسفاره، عاد إلى المغرب الأقصى سنة 748هـ/ 1347م حيث أستقر بفاس وبها تولى القضاء حتى وفاته [138].

قام ابن بطوطة برحلتين أخريين واحده للأندلس سنة 1350 و الأخرى للسودان الغربى سنة 1352 ثم رجع لفاس سنة 1354 فانقطع إلى السلطان أبي عنان فارس المريني فأقام عنده وأملى أخبار رحلته على كاتب البلاط المرينى محمد بن جزي الكلبي سنة 756 هـ/ 1355م وسماها " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"

الكتاب: **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** يُعَدُّ من أشهرِ كُتبِ الرِّحلاتِ في التاريخ؛ حيث بدأ ابن بطوطة رِحلتَه من «طنجة» ناويًا حجَّ بيتِ اللهِ الحرام ، فقد جاء في وصف رحلته إلى الحج عام 725هـ حديثه عن قرع الطبول إيذانا ببدء أيام الحج، ويقول: «وإذا كان أول يوم شهر ذي الحجة تضرب الطبول والدباب، في أوقات الصلوات، بكرة وعشية، إشعارا بالموسم المبارك ، ولا تزال كذلك إلى يوم الصعود إلى عرفات، فإذا كان اليوم السابع من ذي الحجة خطب الخطيب إثر صلاة الظهر خطبة بليغة يعلم الناس فيها مناسكهم، ويعلمهم بيوم الوقفة، فإذا كان اليوم الثامن بكر الناس بالصعود إلى منى، وأمراء مصر والشام والعراق وأعلام العلم يبيتون تلك

---

131 ابن جبير محمد بن أحمد ، رحلة ابن جبير، دار صادر بيروت ،د.ت.ط ، ص.46.
132 نفسه ، ص.63
133 نفسه ص.65
134 نفسه ص.30
135 نفسه ص.243
136 ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح.عبد المنعم العريان، دار احياء العلوم بيروت ط.- 1987م ص.22
137 موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، حرف الباء،م.3، دار الجيل المغرب ،ط.1 سنة 2005، 576.
138 د. سليمان القرشي ، ابن بطوطة،كتابات حول الرجل وحول رحلته ، ندوة الرحالة العرب والمسلمين، نسخة محفوظة 05 ديسمبر 2017 على موقع واي باك مشين.

الليلة بمنى، وتقع المباهاة والمفاخرة بين أهل مصر والشام والعراق في إيقاد الشمع، ولكن الفضل في ذلك لأهل الشام دائما، فإذا كان اليوم التاسع رحلوا من منى بعد صلاة الصبح إلى عرفة، فيمرون في طريقهم بوادي محسر ويهرولون.

أما الكعبة المشرفة، فيتحدث عنها ابن بطوطة تاركا وصفا حيا للمسجد الحرام ومكة المكرمة بقوله: «وفي هذه الأيام تفتح الكعبة الشريفة في كل يوم للعراقيين والخراسانيين وسواهم ممن يصل مع الركب العراقي، وهم يقيمون بمكة بعد سفر الركبين الشامي والمصري أربعة أيام، فيكثرون فيها الصدقات على المجاورين وغيرهم، ولقد شاهدتهم يطوفون بالحرم ليلا، فمن لقوه في الحرم من المجاورين أو المكيين أعطوه الفضة والثياب، وكذلك يعطون للمشاهدين الكعبة الشريفة.»

3. كتاب: ملء العيبة لمحمد الفِهري السِّبتي (ت.721هـ/ 1321م)

المؤلف: هو **محب الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد الفِهري السِّبتي** المعروف **بابن رُشَيْد** هو رحالة، محدث، نحوي، لغوي و حافظ للأخبار والتواريخ و السير، عارف بالقراءات السبع، خطيب ومفسر ومن أعلام القرن الثامن الهجري في العصر المريني الأول ، ولد بسبتة (657 هـ / 1259 م) ودرس بها ثم أخذ عن علماء إفريقية (تونس) والأندلس وولي الخطابة بجامع غرناطة الأعظم، ومات بفاس [139].ورحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج سنة 683 هـ/ 1284 م، فدخل أفريقية ومصر والشام وأخذ بها وبالحجاز عمن لقي من الأئمة [140]. وعاد إلى سبتة، عن طريق الأندلس سنة 686 هـ/ 1287 م، فأقام بها حتى سنة 692 هـ/ 1293 م ثم عاد إلى المغرب وأقام بمراكش، وقدم للصلاة والخطبة بجامعها العتيق، ثم استدعاه السلطان أبو سعيد عثمان المريني إلى فاس، وصار من خواصه بها، وأقام على ذلك إلى أن توفي سنة 721 هـ/ 1321 م [141]وصنف رحلة سماها " ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الرحلة إلى مكة وطيبة ، في ست مجلدات.[142]

الكتاب: **"مِلءُ العَيْبَة بما جُمع بطول الغيْبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة"** يعد من أولى كتب الرحلات المغربية المدوّنة إلى الحجاز و من أنفسها ، لما تضمنه من فوائد علميةٍ كثيرةٍ، وقد وصل إلينا من هذه الرحلة نسخة خطّية واحدة غير كاملة، منسوخة بخط المؤلف ما عدا الجزء الثالث منها، قرأها عليه تلميذه الأديب عبد المهيمن الحضرمي، كما يظهر من التقييدات الموجودة عليها، وانتقلت بعد ذلك بالملك بين أسر مغربيةٍ معروفة كعائلة الونشريسي والمنجور، ثمّ آلتْ إلى مكتبة دير الأسكوريال بالقرب من مدريد .ويقع المخطوط في سبعة أجزاءٍ كما ذكر المؤرخون، ضاع منها اثنان، ووصل إلينا خمسة هي :

الجزء الثاني: ويتضمن الحديث عن مدينة تونس عند الورود، وقد ترجم فيه لستة عشر شيخا وأديبا وعالما من أهالي تونس والمقيمين فيها.

الجزء الثالث: وهو جزء مبتور الأول والآخر، يتحدّث فيه عن مصر والإسكندرية عند الورود، ترجم فيه لعشرة شيوخ من أهالي الإسكندرية، وثلاثة وأربعون من أهل القاهرة .

---

[139] عادل نويهض ،معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر .ج. 2، مؤسسة نويهض للتأليف والترجمة والنشر ط.3،بيروت 1983، صفحة 597-598 .

[140] ابن رشيد الفهري ورحلته إلى المشرق ."مجلة دعوة الحق العدد 24. مؤرشف من الأصل في 25 أكتوبر 2018 .

[141] أعلام القرن الثامن الهجري "ابن رُشَيْد السبتي الفهري تـ721هـ/1321م ."مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث. مؤرشف من الأصل في 25 أكتوبر 2018.

[142] خير الدين الزركلي، الأعلام .الجزء السادس، دار العلم للملايين،بيروت 2002 صفحة 314.

الجزء الخامس: من الأجزاء الثلاثة التي بخط المؤلف، وهو يبتدئ بما ذكره من سفره من دمشق ويحتوي على وصف الطريق إلى المدينة ثم وصف المدينة المنورة ثم وصف الطريق بينها وبين مكة المكرمة، ثم وصف الحج ومناسكه وما يتعلق به، وذكر من لقيهم بها من الفضلاء بالمدينة و مكة ومنى وعرفات فترجم في الحرمين الشريفين لستة عشر شيخا ، ثم خروجه من مكة ورجوعه إلى المدينة المنورة ثم مغادرتها وقد أهل عليه هلال محرم سنة خمس وثمانين وستمائة في الطريق وصار إلى أن وصل القاهرة

الجزء السادس: ويتعلّق بالعودة من الإسكندرية إلى تونس عن طريق طرابلس والمهدية، ويعرّف فيه بجماعة من الأعلام، واحد منهم لقيه بالمركب، واثنين لقيهم بمدينة طرابلس، وواحد لقيه بالمهدية، وأربعة وثلاثون لقيهم بتونس، منهم عشرة تكرر لقاؤه بهم.

الجزء السابع: ويتعلّق بالعودة من تونس إلى سبتة عن طريق بونه(عنابة)، ومالقة، ورُندة، والجزيرة الخضراء، ويتحدّث ابن رُشيْد في هذا الجزء عن مروياته، ومجالسه، ومراسلاته، ويترجم فيه لستة أشخاص، ويختم به الرحلة.[143]

أما الجزآن الضائعان فهما الأول والرابع، ويضم الجزء الأول حديثه عند خروجه من مدينة سبتة، و وصوله إلى المرية، ودخوله بعد ذلك بجاية،ونظنّ أنّ ابن رُشيْد قد عرّف في هذا الجزء بعدد من المشايخ والعلماء الذين كانت تزخر بهم بجاية في نهاية القرن السابع الهجري، الذين ترجم لهم الغبريني في كتابه "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية"

على حين يضم الجزء الرابع حديثه عن بلاد الشام التي اتّجه إليها ابن رُشيْد عند خروجه من مصر، ثم انطلق منها إلى الحجاز، ويبدو أنه ترجم فيه لجماعة من العلماء لقيهم في طريقه إلى الحجاز، ويدلّنا على أسماء بعض منهم الاستدعاء الكبير المطبوع بآخر الجزء الثالث من الرحلة.

[143] الأجزاء 5 و 6 و 7 طبعت بتونس بتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة .

المصادر والمراجع والمجلات والمقالات :

1. ابراهيم بن القاسم الرقيق، تاريخ إفريقية والمغرب تح. عبد الله الزيدان و عز الدين موسى، دار الغرب الإسلامي بيروت،ط.1-1990.
2. أبن الأثير عز الدين علي، الكامل في التاريخ، تح أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية الأردن، د.ت.ط.
3. ابن الأحمر إسماعيل، نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، تح.محمد رضوان الدّاية، دار الثقافة بيروت 1967.
4. ابن الخطيب لسان الدين،الكتيبة الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح.إحسان عباس، دار الثقافة بيروت ط. 1983.
5. ابن الشَمّاع محمد بن أحمد، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، نح.الطاهر المعموري،الدر العربية للكتاب 1984.
6. ابن الصغير المالكي ، أخبار الأئمة الرستميين، تح. محمد ناصر / إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة 1986.
7. ابن القطان حسن بن علي، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح.محمود علي مكي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1990م
8. ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح.عبد المنعم العريان، دار احياء العلوم بيروت ط.- 1987م.
9. ابن جبير محمد بن أحمد ، رحلة ابن جبير، دار صادر بيروت ،د.ت.ط .
10. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر، اباد، الهند، الطبعة الثانية، 1392هـ= 1972م، ج.1
11. ابن حوقل، أبو القاسم محمد البغدادي، صورة الأرض، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1979.
12. ابن خلدون،المقدمة،تح.خليل شحادة و سهيل زكار،دار الفكر بيروت 2001.
13. ابن رشيد الفهري ورحلته إلى المشرق ."مجلة دعوة الحق العدد 24. مؤرشف من الأصل في 25 أكتوبر 2018 .
14. ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرِب في أخبار الأندلس والمغرِب، تح.ج.س.كولان و ليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت، ط.3،1983، ج.1.
15. ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، تح.محمد الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي بيروت 1985.
16. ابن مريم التلمساني ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. تحقيق ابن أبي شنب. المطبعة الثعالبية. الجزائر. 1906 م.
17. إبن منظور، لسان العرب ، دار المعارف القاهرة
18. أبو العباس احمد الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، تح.إبراهيم طلاي، ج.1، مطبعة البعث قسنطينة 1974.
19. أبي زكرياء يحي ،سير الأئمة وأخبارهم،تح.إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي بيروت،ط.2، 1982.
20. أحمد الناصري،الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى دار الكتاب،الدار البيضاء،1997، الطبعة الجديدة، مج.1.
21. أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مج.2، دار صادر بيروت 1968.
22. أحمد علي صكر،ابن السماك العاملي مناهجه وموارده في كتابة...مجلة الدراسات التربوية والعلمية–الجامعة العراقية،ع.10، مج.2، تموز2017.
23. الإدريسي محمد بن عبد الله، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس،مطبعة بريل ، ليدن 1863.
24. الإدريسي محمد بن عبد الله، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج.1،مكتبة الثقافة الدينية القاهرة 2002.
25. الإدريسي محمد بن عبد الله، انس المهج و روض الفرج، تح.الوافي نوحي، الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2007
26. أزايكو علي صدقي ، نماذج من أسماء الأعلام الجغرافية والبشرية المغربية منشورات المعهد الملكي للثقافة الامازيغية، المملكة المغربية.
27. ألبير حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس ،المكتبة العصرية صيدا بيروت، 1967.

28. ألفرد بل ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي ،ترجمة عبد الرحمن بدوي،دار الغرب الإسلامي بيروت ط.3، 1987.
29. الأمير عبد الله بن زيري ،كتاب التبيان، ، تح.ليفي بروفنسال، دار المعارف بمصر،1955 .
30. الأيوبي محمد بن شهنشاه، مضمار الحقائق وسر الخلائق، تح.حسن حبشي،عالم الكتب القاهرة،1401هـ.
31. البكري أبو عبيد ، المسالك والممالك ، تح. أدريان فان و أندري فيري دار الغرب الإسلامي 1992م .
32. البكري أبو عبيد ، المسالك والممالك تح.جمال طلبة، دار الكتب العلمية بيروت ، ط.1 2002.
33. بن أبي زرع الفاسي ، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، نشر أبن أبي شنب، طبع الجزائر 1920.
34. البيذق،أبو بكر علي الصنهاجي،أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة الرباط 1971.
35. تادايوش ليفيتسكي، المؤرخون الإباضيون، ترجمة ماهر/ريما جرار، مؤسسة تاوالت الثقافية 2007.
36. التنبكتي أحمد بابا، نيل الأبتهاج بتطريز الديباج، تقديم ع.الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية طرابلس، ط.1 1989م، ج.1-2.
37. التنبكتي محمود كعت ، تاريخ الفتّاش في ذكر أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، تع.آدم بمبا، مؤسسة الرسالة ناشرون،ط.1، 2014 م.
38. التنسي محمد بن عبد الله ،الطراز في شرح ضبط الخراز. تحقيق أحمد شرشال. مجمع الملك فهد للطباعة. 2000 م.
39. التنسي محمد بن عبد الله. تاريخ بني زيان ملوك تلمسان. مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان. تحقيق محمود آغا بوعياد. مطبعة الجيش. الجزائر. 2007 م.
40. جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر)1984م. .
41. حسين رشيق القيرواني، أنموذج الزمان في شعراء القيروان،تح.محمد العروسي المطوي و بشير بكوش،الدار التونسية للنشر،1986م
42. حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام ، الزهراء للإعلام العربي القاهرة ،ط.1، 1987.
43. حسين نصار، فتوح مصر والمغرب، مجلة المجلة عدد (80) أغسطس سنة 1963.
44. الدرجيني أبو العباس أحمد، طبقات المشايخ بالمغرب، تح.إبراهيم طلاي،مطبعة البعث قسنطينة 1974م،ج.1.
45. روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من ق.13 إلى نها ق.15م، تعريب حمادي الساحلي،دار الغرب الإسلامي بيروت ، ط.1 – 1988، ج.1 .
46. الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس تراجم ، دار العلم للملايين بيروت ط.7 – 1986.
47. الزركلي خير الدين، سير وتراجم وحياة الأعلام من الناس،دار العلم للملايين بيروت ط.7- 1986.
48. الزركلي, خير الدين ،الأعلام، مج.1 بيروت: دار العلم للملايين، ط 15، 2002 .
49. الزركلي، الأعلام ، دارالعلم للملايين، ط.5، 1980.
50. الزناتي أنور محمود ، دراسات تحليلية في مصادر التراث العربي، دار زهران للنشر الأردن، ط.1، 2011 م.
51. سوادي عبد محمد /صالح عمار الحاج، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، ط.1، 2004
52. السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية، بيروت 1961
53. السيد عبد العزيز سالم ،تاريخ المغرب في العصر الإسلامي،مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 1999
54. الشماخي أحمد بن سعيد، كتاب السير، تح.أحمد بن سعود السيابي،مطابع النهضة مسقط 1987م. ج.1
55. النويري شهاب الدين ، نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1423هـ، 1/ 3- 11

56. عادل نويهض ،معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر .ج. 2، مؤسسة نويهض للتأليف والترجمة والنشر ط.3،بيروت 1983.
57. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية بيروت 1980.
58. عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم ، دار الفكر دمشق 1995 م.
59. عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، مصر، 1967.
60. عبد الواحد دنون طه، مصادر في تاريخ المغرب والأندلس، دار المدار الإسلامي، 2001
61. عزَّت السيد أحمد، الموسوعة العربية ، أعلام ومشاهير،المجلد 19.
62. علي ابراهيم حسن،استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية،ط.3، 1980
63. عمر كحالة ، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى لبنان، ج.8.
64. فاروق عمر فوزي، التدوين التاريخي عند المسلمين، دار البارودي للطباعة أبوظبي 2004
65. القاضي النعمان المغربي، افتتاح الدعوة، تح.فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع تونس 1986.
66. القاضي النعمان المغربي، دعائم الإسلام ، تح.آصف بن علي ، دار المعارف 1963،ج.1.
67. ليفي بروفنسال، مؤرخو الشرفاء، تعريب عبد القادر الخلاَّدي، دار المغرب، الرباط، 1977.
68. المالكي أبي بكر عبد الله، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، تح.بشير بكوش، ج.1،دار الغرب الإسلامي ط.2، 1994.
69. مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية قسم المغرب الإسلامي ج.2،دار الغرب الإسلامي ط.2، 2000 م .
70. محمد عبد الكريم الوافي ، منهج البحث في التاريخ والتدوين التاريخي عند العرب، منشورات جامعة قار يونس بنغازي ط.3، 2008
71. محمد ماهر حمادة، راسة وثقية للتاريخ الإسلامي ومصادره من عهد بني أمية حتى الفتح العثماني لسوريا ومصر 40 – 922هـ / 661 – 1516م، مؤسسة الرسالة لبنان ، ط.1، 1988/1408.
72. محمد محفوظ ، تراجم المؤلفين التونسيين المؤلف، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان الطبعة: الثانية، 1994 م ج.2.
73. محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين ،دار الغرب الإسلامي ط.2، 1994، مج.1.
74. المراكشي العباس بن إبراهيم ،الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ، مقدمة المحقق عبد الوهاب بن منصور ،المطبعة الملكية الرباط،ط.2، 1993 .
75. وداد القاضي، ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية، مجلة الأصالة، العدد 45، ماي 1997.
76. الوزان الحسن بن محمد، وصف افريقيا ، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، ترجمة المؤلف من مقدمة المترجم ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط.2- 1983.
77. ياقوت الحموي، معجم الأدباء ،إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح.إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط.1، 1993، ج.1.
78. يحي بن خلدون، بغية الرواد ، ج 1.
79. اليعقوبي، البلدان، علق عليه محمد أمين ضناوي،دار الكتب العلمية بيروت، د.ت.ط.
80. Brunschvig , Robert , Ibn as-Sammâ', historien hafside, Annales Institut Etudes orientales, Alger, 1934-35.
81. Brunschvig, Robert (1901-1990), Portail Persée,fr

1) مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث أعلام القرن الثامن الهجري "ابن رُشَيْد السبتي الفهري ت721هـ/1321م.". مؤرشف من الأصل في 25 أكتوبر 2018.
2) المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 1426 هـ 2005 م.
3) موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين ،م.3، دار الجيل المغرب ،ط.1 سنة 2005.
4) الموسوعة العربية، أعلام ومشاهير، المجلد التاسع ، المجلد الخامس عشر.
5) موقع تاذارت، مركز الدراسات الإباضية
6) موقع موسوعتي https://mawsoati.com/plus
7) موقع واي باك مشين، المؤرخ ابن أبي زرع ومنهجه في كتابة "الأنيس المطرب "الدكتور مزاحم علاوي الشاهري والدكتور سالم محمود عيسى، جامعة الموصل ، 23 سبتمبر 2015.
8) موقع واي باك مشين، جريدة الاتحاد ، رحلات ابن جبير وثائق تاريخية وجغرافية في لغة أدبية ، نسخة محفوظة 25 أكتوبر 2015.
9) موقع واي باك مشين، سليمان القرشي ، ابن بطوطة،كتابات حول الرجل وحول رحلته ، ندوة الرحالة العرب والمسلمين، نسخة محفوظة 05 ديسمبر 2017.
10) موقع واي باك مشين، مقالات إسلام ويب ،الرحالة الأديب ابن جبير الأندلسي . نسخة محفوظة 24 يونيو 2012.
11) ويكيبيديا الموسوعة الحرة
12) مجلة عصور الجديدة، بن يحي مصطفى / بوشنافي محمد، الغرب الإسلامي عند ابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ" دراسة في المصادر والمنهج ، المجلد 10،العدد4 ديسمبر 2020م .
13) شبكة الألوكة، مولاي المصطفى البرجاوي، تطور الكتابة التاريخية بين منظورين الثقافة الإسلامية في مقابل الثقافة الغربية، تاريخ الإضافة – 1434/2/17 هجري/ 2012/12/31 ميلادي
14) دعوة الحق ، مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية و بشؤون الثقافة والفكر أسست سنة 1957 ، العدد 222
15) سلسلة أعلام ومشاهير ،المجلد التاسع .
16) أرابيكا الموسوعة الحرة .
17) أرشيف إسلام أون لاين